

# النكت الظرف في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف

تقديم وتحقيق

د. سليمان محمد عبد الله

أستاذ التاريخ الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية  
جامعة أم القرى - مكة المكرمة



# النُّكْتُ الظَّرَافُ فِي المَوْعِظَةِ بِذَوِي الْعَاهَاتِ مِنَ الْأَشْرَافِ

تقديم وتحقيق

الدكتورة/ لمياء أحمد شافعي

أستاذ مساعد - جامعة أم القرى  
مكة المكرمة

مكتبة نزهراء الشرق للنشر والتوزيع

١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة



اسم الكتاب: النكت الظراف في الموعظة  
بذوى العاهات من الأشراف

تقديم وتحقيق: د. لمياء أحمد عبد الله شافعي

رقم الإيداع: ٢٣٣٨٩

الترقيم الدولي:

I.S.B.N

978-977-314-440-1

حقوق النشر محفوظة

الطبعة الأولى ٢٠١٤

المراسلات:

١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة

جمهورية مصر العربية

التليفون: ٠٠٢٠٢٢٣٩١٣٨٥٩

فاكس: ٠٠٢٠٢٢٣٩١٣٣٥٤

المحمول: ٠٠٢٠١٢٢٣١٧٧٥١٠

البريد الإلكتروني:

Hagagbookshop@hotmail.com

الفيس بوك:

HTTP://WWW.FACEBOOK.COM/  
ZAHRAAELSHARQ.DARELKAHERA

تويتر:

HTTP://WWW.TWITTER.COM/  
ZAHRAAELSHARQ

اليوتيوب:

HTTP://WWW.YOUTUBE.COM/  
USER/ZAHRAAELSHARQBOOK

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تجزئته في نطاق استعادة المعلومات،

أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر

تدمك: ١-٤٤٠-٣١٤-٩٧٧-٩٧٨

شافعي، لمياء أحمد عبد الله

النكت الظراف في الموعظة بذوى العاهات من الأشراف / تقديم وتحقيق: د. لمياء أحمد

عبد الله شافعي، ط ١ / القاهرة: مكتبة زهراء الشرق للنشر والتوزيع، ٢٠١٤ م.

١٧ × ٢٤ سم

١- الأهاجي والفكاهات العربية

أ- شافعي، لمياء أحمد (مقدم ومحقق)

ب- العنوان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تقديم

خلال السنة الماضية أمكنني أن أنجز تحقيق كتاب النُكت الطَّرَاف، في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف، وأعانني الله على إتمام ذلك رغم صعوبات النص في نسخته المخطوطة الفريدة بخطها المستعصي. وأشرتُ في مقدمة التحقيق إلى أهمية الكتاب وإلى أنه يحتاج إلى دراسة خاصة به فقلتُ عندها: وإني لا أزال أعتقد أن الكتاب يحتاج إلى دراسة علمية توضح أهمية ما اشتمل عليه من أخبار العصر في مكة المكرمة وتكشف عن محتواه ومنهجه ومصادره، مع عناية خاصة بما أثير حول تأليف هذا الكتاب من خلاف ونقاش حادٍ بين المؤلف من ناحية وبين بعض علماء مكة ومثقفيه، مما جعل المؤلف يلجأ إلى تحكيم علماء من القاهرة ومن دمشق فإذا هم يعبرون عن آرائهم ومواقفهم من موضوع الكتاب.

وقلتُ بعد ذلك: إن ما تقدم من تعريف بالمؤلف والكتاب وضع كمقدمة للتحقيق، وإني أعتقد أن دراسة مفصلة للكتاب وتعريفاً أوسع بالمؤلف وظروف تأليفه له يستحقان عناية أكثر وتتبعاً أوسع وهو ما ننوي القيام به إن شاء الله.

وفعلأً عدتُ إلى الكتاب لإحجاز الوعد وإتمام ما أشرتُ إليه فكتبتُ هذا البحث الذي عملتُ فيه على دراسة الكتاب والتعريف به مع بيان المنهج الذي سلكه المؤلف في إنجازهِ ثم توضيح مصادره التي اعتمدها بتنوعها وتعددتها مع تناول ما تضيفه نصوص هذا الكتاب من معلومات تاريخية متعلقة بعصر المؤلف وبعض معاصريه. وهي معلومات مفيدة لمعرفة جوانب اجتماعية في مكة خلال النصف الأول من القرن العاشر مع العناية بقضية أثّرت في المجتمع المكي المثقف حول هذا الكتاب. فقد قام جدل حاد عند ظهور الكتاب بين المؤلف وبعض مناصريه من جانب وبين جماعة من المثقفين وأهل العلم من جانب آخر، ونتج عن ذلك حوار ساخن دام قرابة السنتين ووصلت أصدائه وآثاره إلى

العاصمة المصرية القاهرة والعاصمة الشامية دمشق للتعريف بوجهات النظر المتباينة حول موضوع الكتاب وتأليفه.

وبذلك تلقى دراسة هذا الكتاب أضواء كاشفة على نمط الحياة الثقافية في اختلاف وجهات نظر أبنائها وأنماط تعاملهم في ما بينهم.

إن هذا الكتاب ليس إنتاجاً تاريخياً فحسب، وليس هو فقط كتاب خلاف وحوار حاد بين المثقفين، وليس هو كتاب أدب يجمع النصوص الأدبية القديمة فقط، كما أنه ليس كتاباً خُصص للاستشهاد بالروايات الحديثة المناسبة، وإنما هو كتاب يجمع من كل هذه الفنون بطرفٍ بالإضافة فنون أخرى يتكامل بها الكتاب.

واعتقاداً مني بأن وجود هذا الكتاب بين أيدي الباحثين من أهل الاختصاص في تاريخ مكة وحضارتها خلال القرن العاشر الهجري يكون مفيداً ونافعاً، ولعله يفتح آفاقاً للنظر ومجالات لقراءة جديدة في النصوص التاريخية المفيدة في تاريخ البلد الأمين. نسأل الله التوفيق.

## ترجمة موجزة

هو جار الله محمد بن العز عبد العزيز بن النجم عمر بن التقي محمد بن فهد المكي الهاشمي العلوي<sup>(١)</sup>، يكنى بأبي الفضل ويُعرف بمحب الدين. ولد بمكة المكرمة في شهر رجب سنة ٨٩١ هـ / ١٤٨٦ م من أم مكية تُنسب إلى نفس العائلة، فجدها الأعلى هو التقي بن فهد.

نشأ جار الله في عائلة قديمة من بيوت العلم بمكة تعدّ فيها العلماء منذ بداية القرن الثامن الهجري عُرف منهم فيه أبو الخير بن فهد المتوفى سنة ٧٣٥ هـ / ١٣٣٥ م<sup>(٢)</sup> وجمال الدين بن فهد المتوفى في نفس السنة<sup>(٣)</sup>.

وفي القرن التاسع اشتهر من بني فهد أبو زرعة بن فهد المتوفى سنة ٨٢٦ هـ - ١٤٢٣ م<sup>(٤)</sup>، والحافظ التقي بن فهد الجد الأعلى للمؤلف المتوفى سنة ٨٧١ هـ / ١٤٦٦ م<sup>(٥)</sup>! والحافظ النجم بن فهد جد المؤلف جار الله المتوفى سنة ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م<sup>(٦)</sup>.

وفي القرن العاشر اشتهر من بني فهد الحافظان العز عبد العزيز بن فهد المتوفى سنة ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م<sup>(٧)</sup> وهو والد المؤلف، ثم المؤلف ذاته وهو جار الله بن عبد العزيز بن فهد المتوفى سنة ٩٥٤ هـ / ١٥٤٧ م.

وانطقات شمعة هذه العائلة العلمية في نهاية القرن العاشر الهجري، فلم يبلقنا عن واحد منها خبرٌ ولا أثرٌ في كتب التاريخ والتراجم وغيرها، حسبما أكده عبد الحي

(١) هكذا ورد اسمه بخطه في أول وفي آخر مخطوطة كتاب النكت الظراف.

(٢) الفاسي: العقد الثمين ٢: ٢٩٦.

(٣) الفاسي: العقد الثمين ٢: ٧٩.

(٤) نفس المصدر ٢: ٣٤٢.

(٥) السخاوي: الضوء اللامع ٩: ٢٨١ - ٢٨٣.

(٦) نفس المصدر ١٠: ٢٣٨ - ٢٤٠.

(٧) مقدمة كتاب بلوغ القرى دراسة وتحقيق الباحثين: صلاح الدين بن خليل وعبد الرحمن أبو الخيور وعليان المحلبي.

الكتاني وقال عن آخر المعروفين منهم وهو عبد ارجمن بن عبد القادر بن فهد: ولعله آخر فقهاء ومسندي بني فهد. فإنه انقطع ذكرهم من بعده في الفهارس والأثبات التي وقفت عليها<sup>(١)</sup>.

## المؤلف:

هو جار الله محمد بن العز عبد العزيز بن النجم عمر بن التقي محمد بن فهد المكي الهاشمي، يكنى بأبي الفضل وبمحب الدين. ولد بمكة المكرمة في شهر رجب سنة ٨٩١ هـ / ١٤٨٦ م من أم مكية تُنسب إلى نفس العائلة، جدّها الأعلى هو التقي بن فهد، فهي إذن ابنة عم والده. نشأ جار الله في بيئة علمية فاهتم به والده وأحضره دروس كبار الشيوخ كالحافظ شمس الدين السخاوي، كما أخصر على غيره من العلماء، بالإضافة إلى ما حمله من العلم عن والده. ثم بدأ رحلاته العلمية وهو لم يتجاوز ثلاثاً وعشرين سنة، فسافر إلى القاهرة سنة ٩١٣ هـ / ١٥٠٧ م وسافر إلى اليمن سنة ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م، ثم قام برحلة علمية كبيرة دخل فيها مصر ثم دمشق وذلك في سنة ٩٢١ هـ / ١٥١٥ م. وتوطدت علاقاته فيها بالكثير من العلماء. وقام برحلة أخرى إلى بلاد الروم (تركيا) في سنة ٩٢٨ هـ / ١٥٢٢ م، وعاد إليها في رحلة ثانية سنة ٩٣٤ هـ / ١٥٢٧ م. وجمع من كل هذه الرحلات العلمية معارف هامة مع حضوره لدروس العدد الكبير من علماء مكة والواردين عليها أو المقيمين بها مما مكنه من زاد كبير في العلوم، ومكانة محترمة في المجتمع - وهو ما تدل عليه مؤلفاته - وظل يكتب ويؤلف إلى أن توفي بمكة في ١٥ جمادى الثانية سنة ٩٥٤ هـ / ٢ أغسطس ١٥٤٧ م<sup>(٢)</sup>.

## مصادر ترجمته:

لجار الله بن فهد ترجمات كثيرة من معاصريه ومن جاء بعدهم:

فمن معاصريه: السخاوي في الضوء اللامع ٥٢/٢، والده العز بن فهد الذي ذكره مرات كثيرة في كتابه بلوغ القرى، وصديقه ابن طولون الشامي الذي تحدث عنه في كتابه مفاكهة الخلان مرات في الجزء الثاني من ص ٦ إلى ص ٦٣.

(١) الكتاني: فهرس الفهارس والأثبات ٧٣٤.

(٢) محمد الحبيب الهيلة: المرجع السابق، ص ١٩٥-٢١٣.

أما من جاء بعد عصر المؤلف فقد ترجمه: العيدروس في النور السافر ١٣١/٢! وابن العماد في شذرات الذهب ٣٠١/٨، ومرداد في المختصر من نشر النور والزهر ص ١٥٢-١٥٣.

أما من المعاصرين فقد ترجمه الزركلي في الأعلام ٢٠٩/٦، وكحالة في معجم المؤلفين ١٠/١٧٥-١٧٦، كما كتب عنه د. ناصر الرشيد في مجلة العرب سنة ١٣٩٧ هـ. عدد ١١-١٢، ود. محمد الحبيب الهيلة في كتابه التاريخ والمؤرخون بمكة ص ١٩٥-٢١٣<sup>(١)</sup>.

### مؤلفات جبار الله بن فهد التاريخية:

تنوعت الاختصاصات التاريخية التي ألف فيها جبار الله بن فهد فأمكننا أن ننوعها كما يلي:

#### كتبٌ متعلقة بتاريخ مكة وهي:

- بهجة الزمان، بعمارة الحرمين لملوك آل عثمان.
- التحفة اللطيفة، في أنباء المسجد الحرام والكعبة الشريفة.
- غاية الأمانى والمسرات، لعلو سلطان الحجاز أبي زهير بركات.
- نيل المنى، بذيل بلوغ القرى، لتكملة إتحاف الورى.

#### كتبٌ متعلقة بذكر أماكن ومواقع في مكة وحولها:

- الاتعاظ، بما ورد في سوق عكاظ.
- تاريخ مدينة جدة وأحوالها وقربها من مكة.
- تحفة اللطائف، في فضائل الحبر ابن عباس ووجّ والطائف.
- تحفة الناس، بخبر رباط سيدنا العباس.
- حسن القرى، في أودية أم القرى، ويسمى منبع الخير والبركة، في أودية أم القرى مكة.

(١) كنتُ عرّفتُ بالمؤلف جبار الله بن فهد بكل إيجاز وعرضتُ أهم مصادر ترجمته في مقدّمة تحقيقي لكتاب النكت الظراف فاكتفيت بنقلها هنا لإيجازها وإيفائها بالغرض.



▪ القول المبرور، في فضائل عرفة.

**كتب تاريخية عامة:**

- بلوغ الأرب، في تملك السلطان سليم خان لأرض العجم والعرب.
- الجواهر الحسان، في مناقب السلطان سليمان بن عثمان.
- منهل الظرافة، بذيل مورد اللطافة، في من ولي السلطنة والخلافة.
- النكت الظراف، في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف.

**كتب متعلقة بالتراجم:**

- الأقوال المتبعة، في بعض ما قيل في مناقب الأئمة الأربعة.
- بلوغ الأرب، بمعرفة الأنبياء من العرب.
- تاريخ يفيد في معرفة المترجمين في الضوء اللامع.
- تحفة الإيقاظ، بتتمة ذيل طبقات الحفاظ، لكتاب طبقات الحفاظ للذهبي.
- تحقيق الصفاء، في تراجم بني الوفاء.
- تخريج مشيخة عبد الحق السنباطي.
- تخريج مشيخة محب الدين النويري.
- ثبت جار الله بن فهد.
- رسالة في كتاب السر في ديوان مصر.
- فهرسة جار الله بن فهد.
- القول المؤتلف، في نسبة الخمسة البيوت إلى الشرف (بيوتات مكة).
- معجم شيوخ جار الله بن فهد.

**كتب متعلقة بأسانيد الحديث ورجاله:**

- البلدانيات، ويسمى بالفراند البهيات، في فوائد البلدانيات (والبلدانيات هي كتب تجمع الأحاديث المرتبة على ترتيب المحدثين من مختلف البلدان).

- تحفة الكرام، بمرويات حجاج بيت الله الحرام.
- تحقيق الرجاء، لعلو المقر المحبّي ابن آجا.
- مورد الطالب الظمي، لمرويات الحافظ برهان الدين سبط ابن العجمي.
- كتب في رحلاته.
- رحلة إلى حلب.
- الرحلة الدمشقية.
- كتب متعلقة بالأدب وتاريخه:
- بلوغ الأرب، في حكم تيجان العرب (وهي العمامة).
- معجم الشعراء الذين سمع منهم الشعر<sup>(١)</sup>.

(١) للمزيد من معرفة مؤلفات جابر الله بن فهد انظر كتاب محمد الحبيب الهيلة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ١٩٥-٢١٣.



## التعريف بكتاب النكت الظراف

### عنوان الكتاب الذي ندرسه:

هو كتاب النكت الظراف، في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف.

### إثبات نسبة الكتاب إلى جار الله بن فهد:

عندما وقع مخطوط الكتاب بين يديّ وقبل أن أبدأ في تحقيقه حاولت أن أعثر على ذكرٍ له في مصدر من المصادر التاريخية المكية أو غيرها من الكتب المعروفة بالمؤلفات ككتاب كشف الظنون لحاجي خليفة وملحقاته لإسماعيل البغدادي وغير ذلك كثير مما أمكنني الاطلاع عليه من الفهارس الجامعة لعناوين المخطوطات والمطبوعات، فلم أجد للكتاب ذكرًا في كل ما أمكنني الاطلاع عليه.

إلا أن الكتاب الذي بين يديّ وهو كتاب النُكت الظُراف لا يُشكّ في نسبته لصاحبه وهو جار الله بن فهد بسبب العوامل التالية:

- ورود ذلك في ورقة عنوان المخطوط حسبما كُتب عليها «كتاب النكت الظراف، في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف»، تأليف الفقير الحقير، المعترف بالتقصير، الراجي عفو ربّه القدير، خادم حديث نبيّه المصطفى البشير، المسمّى باسمه الأمجد، محمد المدعو جار الله بن عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي العلوي المكي، لطف الله به.

- وردت نسبة الكتاب إلى مؤلفه مرات متكررات داخل النص.

- أن في صفحة العنوان يقول: تأليف الفقير الحقير، ولا يقول مثل هذه العبارات غير صاحب الخط والكتابة.

- أن هذه المخطوطة كُتبت بخط المؤلف الذي يتّصف بعدم الجمال وبالغموض. فيثبتُ عند الباحث أنه من خطه بسبب ما ذكره بنفسه وبسبب المقارنة بينه وبين

مَا كَتَبَهُ فِي مَخْطُوطَاتٍ أُخْرَى كَثِيرَةً. فَقَدْ عُرِفَتْ مِنْ خَطِّ جَارِ اللَّهِ بْنِ فَهْدٍ كُتِبَتْ وَأُمُثَلَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا: مَا وَجَدَ عَلَى مَخْطُوطَةٍ مَعْجَمِ شَيْوْخِ النُّجْمِ بْنِ فَهْدٍ جَدِّهِ وَهِيَ نَسْخَةٌ مَحْفُوظَةٌ بِمَكْتَبَةِ بَنْكِيْبُورِ بِالْهِنْدِ رَقْمُ ٧٣٧ حَيْثُ نَقَلَ مَجْمُوعَةً اسْتِدْعَاءَاتٍ لِرَوَايَةِ الْحَدِيثِ. كَمَا أَنَّهُ يَوْجَدُ خَطُّهُ عَلَى نَسْخَةٍ مِنْ كِتَابِهِ حَسَنُ الْقُرَى، فِي أَوْدِيَةِ أَمِّ الْقُرَى، مَحْفُوظَةٌ فِي مَكْتَبَةِ الْأَحْقَافِ بِالْيَمَنِ رَقْمُ ٩٨ مَجَامِيعٍ. مَعَ أُمُثَلَةٍ أُخْرَى مِنْ خَطِّهِ.

كُلُّ هَذِهِ الْعَوَامِلُ تَجْعَلُنَا لَا نَشْكُ فِي نِسْبَةِ الْكِتَابِ إِلَى مُؤَلِّفِهِ جَارِ اللَّهِ رَغْمَ عَدَمِ عَثُورِنَا عَلَى نَصِّ يَذْكُرُ الْكِتَابَ وَيُنْسِبُهُ إِلَيْهِ أَوْ إِلَى غَيْرِهِ سِوَاءٍ فِي عَصْرِ الْمَوْلَفِ أَوْ بَعْدِهِ.

### المخطوط:

رَغْمَ مَا بَذَلْنَاهُ مِنْ جَهْدٍ فِي الْبَحْثِ عَنْ نُسْخِ الْكِتَابِ فَإِنَّا لَمْ نَعَثِرْ إِلَّا عَلَى نَسْخَةٍ وَاحِدَةٍ كُتِبَتْ بِخَطِّ الْمَوْلَفِ وَحُفِظَتْ فِي مَكْتَبَةِ سَشْتَرِبِيْتِي بِإِنْجَلْتِرَا ضَمَّنَ مَجْمُوعَ تَحْتَ رَقْمِ ٣٨٣٨.

يَقَعُ الْمَخْطُوطُ فِي ٥٩ وَرَقَةً، عَدَدُ أَسْطُرٍ مَا بَيْنَ ١٨ وَ ٢٠ سَطْرًا أَصِيبَ بِنَقْصٍ مَا بَيْنَ وَرَقَةٍ - ٢٠ ب وَ ٢١ أ - وَنَقْصٌ آخَرُ فِي مَا بَيْنَ وَرَقَةٍ - ٢٦ ب وَ ٢٧ أ - مَعَ بَيَاضٍ فِي الْوَرَقَةِ ٥٣ ب حَيْثُ لَمْ يُكْتَبْ فِيهَا سِوَى سَطْرَيْنِ، يَبْدُو أَنَّ الْمَوْلَفَ تَرَكَهَا بَيَاضًا لِإِكْمَالِهَا بِأَحَادِيثٍ مَنَاسِبَةٍ وَذَلِكَ قَبْلَ الْخَاتَمَةِ، مَعَ بَيَاضٍ جَزِيءٍ وَمَتَقَطْعٍ فِي الْوَرَقَةِ ١٠ أ - ب بِسَبَبِ تَرْمِيمِهَا الرَّدِيِّ.

وَقَدْ وَضَعَ الْمَوْلَفُ إِضَافَاتٍ فِي حَوَاشِي النَّصِّ وَذَلِكَ فِي الْوَرَقَةِ ١٨ ب، وَفِي الْوَرَقَةِ ٢٣ ب وَ ٢٤ أ (وَهِيَ إِضَافَاتٌ بَغَيْرِ خَطِّهِ إِلَّا أَنْ نَصَّهَا يَدٌ عَلَى أَنَّهَا مِنْ تَأْلِيفِهِ) وَإِضَافَاتٌ أُخْرَى بَعْضُهَا مِنْ خَطِّهِ وَأَغْلَبُهَا مِنْ خَطِّ غَيْرِهِ إِلَّا أَنَّهَا مَقْطُوعَةٌ أَوَائِلُ السُّطُورِ مِمَّا جَعَلْنَا لَا نَقْدِرُ عَلَى تَحْقِيقِهَا ضَمَّنَ النَّصِّ<sup>(١)</sup>.

(١) اِكْتَفَيْتُ فِي وَصْفِ مَخْطُوطَةِ الْكِتَابِ هُنَا بِ مَا كُنْتُ أَوْرَدْتُهُ فِي مَقْدَمَةِ تَحْقِيقِي لَهُ، فَإِنْ ذَلِكَ يَوْفِي بِالْغُرُضِ.

## محتوى الكتاب:

يقول المؤلف متحدّثاً عن محتوى كتابه وترتيبه:  
ولذلك رتّبْتُ مؤلّفي هذا على مقدمة وبابين وخاتمة. وجعلتُ في آخر كلّ منها تنمّة،  
هي للقصد مهمّة.  
فالمقدمة في الأحاديث والأخبار الواردة في نوي العاهات مع نظم الأشعار.  
والباب الأول في ذكر نوي العاهات مجملاً، وبيان الأشراف منهم مفصلاً.  
والباب الثاني في الحادث لهم من المرض كالعمى والعور والصّلغ والقرح وغير  
ذلك من المرض.  
والخاتمة في الوارد للإنسان من المصاب، وما يحصل له من الأجر والثواب<sup>(١)</sup>.

## موضوعه:

هو كتاب جمع فيه المؤلف أخبارَ مَنْ أصيب بعاهة جسدية واشتهر بها.  
أراد منه المؤلف أن يجمع أخبار المشهورين ممن أصيب بعاهة من العاهات سواء من  
أهل الدين أو أهل السياسة أو أهل العلم، خاصة ممن اشتهروا في ميادينهم ومجالاتهم.  
وكان قصد المؤلف كما يقول في المقدمة وضمن نصوص الكتاب أن يجعل من ذكرهم  
موعظة وتسلية لمن أصيب بمثلها حتى يقوّي صبره على تحمّل بليّته. فذكر منهم بعض  
الأنبياء، وبعض الصحابة، والكثير من أهل السلطة بالغاً إلى ذكر العديد من العلماء  
المشهورين سواء ممن تقدم عصره أو تأخر فكان معاصراً له.  
وهكذا نجد الكتاب قد احتوى على مجموعة هامة من الأخبار التاريخية تُكمل جوانب  
من تراجم المذكورين فيه. إلّا أن المؤلف جار الله بن فهد اشتهر بعلم الحديث كما اشتهر  
بالمؤلفات التاريخية الكثيرة، لذلك نجده في كتابه هذا يجمع بين نصوص الاختصاصين،  
وأنه في سبيل غايته التربوية كان لابد له من أن يلجأ إلى نصوص الحديث النبوي التي  
تتناول موضوع الصبر، ومواجهة البلاء، والتغلب عليه بالإحساس الديني وبما وعد

(١) جار الله بن فهد: النكت الظراف ٣ أ.

الله الصابرين، وبما أكد رسول الله ﷺ من أحاديث أوردها متعددة مما اشتملت عليه كتب السنن وكتب السيرة النبوية الشريفة.

إلا أن ظهور هذا الكتاب أثار نقداً وضجة بين بعض علماء مكة المكرمة في عصره فانتقدوا وأتهموا صاحبه بالغيبة، وبلغ الأمر بالمعارضين إلى أن بلّوا الكتاب بالماء لتذهب معالمه، وأرادوا تمزيقه. وفي ظروف غير واضحة وقع إتلاف النسخة الأولى من الكتاب، وقع ذلك في سنة ١٩٤٨ هـ / ١٥٤١ م. إلا أن المؤلف أعاد كتابته في نسخ متعددة فكانت نسخته الأخيرة هي التي بين أيدينا قد صدرت في سنة ١٩٥٠ هـ / ١٥٤٣ م وفيها ذكر بعض ما وقع لهذا التأليف من معارضة وموافقة سواء من علماء مكين أو مصريين أو شاميين.

كل ذلك دلت عليه بتفصيل نسخة الكتاب التي بين أيدينا، والتي هي بخط المؤلف المعروف لدى الباحثين.

وقد اشتمل الكتاب على الكثير من النقول عن المؤرخين القدماء سواء من كتب السيرة، أو كتب التراجم، أو كتب التربية الدينية والموعظة والإرشاد، بالإضافة إلى ما أورده من أخبار معاصريه.

وقسم كتابه إلى مقدمة وبابين وخاتمة.

اشتملت المقدمة على: الأحاديث والأخبار الواردة في ذوي العاهات، واشتمل الباب الأول: على ذكر ذوي العاهات مجملًا وبيان الأشراف منهم مفصلاً. واحتوى الباب الثاني: على أخبار ما حدث لهم من العاهات كالعمى والعمور والصلع والعرج، وغير ذلك. أما الخاتمة: فقد أورد فيها النصوص المتعلقة بما يحصل للإنسان من أجر وثواب مقابل مصابه وعاهته<sup>(١)</sup>. فجاء أسلوب وموضوع الخاتمة يختلفان عن موضوع الكتاب. فقد خصصها للتذكير والنصيحة مع رواية الأخبار والأشعار التي تخدم الغرض. وقد اعتمد فيها اعتماداً يكاد يكون كلياً على كتاب الخوارزمي مفيد العلوم ومبيد الهموم فنقل منه أغلب هذه الخاتمة مع تصرف كبير منه بالزيادة والنقص والتغيير. كما يحدث للمؤلف أحيانا أن ينقل نصوصاً ويورد أخباراً لا علاقة لها بموضوع كتابه ولا هي مناسبة للفقرة أو الفصل أو غير ذلك.

(١) مقدمة تحقيق النكت الظراف ص ٥.

ففي الورقة ٣ ب يورد نصاً فيه ذكر خصائص اسم النبي صلى الله عليه وسلم دون أن يكون له مناسبة بحال.

وفي الورقة ٣٤ ب يورد قصة الأسود العنسي وهي في غير محلها لانهاء المناسبة.

وفي الورقة ٣٩ أ يورد خبر خطبة زهير بن كعب ضمن قائمة البرص دون أن تكون لذلك مناسبة.

### سبب تأليف الكتاب والغاية منه:

يذكر لنا المؤلف في مقدمة كتابه النكت الظراف سبب تأليفه للكتاب فيقول: سببه أنني اجتمعت ببعض الأعيان، وأحد فضلاء الزمان، وذكرنا الماضيين من العميان والعوران والقرحان والصلعان، ممن حصل له ذلك من الأعيان، فتشوقت نفسي لجمعه خصوصاً ورأيت بعض علماء الحنفية ذكره في وضعه<sup>(١)</sup>.

وبما أن الكتاب أثار خلافاً بين المؤلف وبعض العناصر المثقفة في مكة فاتهم بالغيبة وغيرها من سوء القصد فإنه كثيراً ما كان في كتابه يتنصل من هذه التهمة ويجب عن ذلك بمحاولة إثبات عكس ما اتهم به. فيلتجئ في كثير من الأحيان إلى القسم المؤكد بأنه لم يقصد الإساءة لأحد فيقول مثلاً: والله العظيم قصدت بتأليفه الإيقاظ، وتسليية مَنْ ابتلي به والاعتاظ، لمن حصل له الابتلاء من الأكابر، في الزمن الغابر<sup>(٢)</sup>.

وبيّن غايته من تأليفه فيقول: قصدت بتأليفه الموعظة الصحيحة، والتسليية الصريحة، ليتعظ به المتعظون، ويتسلّى بما فيه الطالبون<sup>(٣)</sup>.

### تأليف الكتاب ومراحله:

لم يكن تأليف كتاب النكت الظراف تأليفاً عادياً صدر عن مؤلفه وانتشر بين الناس بصفة طبيعية كعادة الغالبية العظمى من المؤلفات. فقد لقي المؤلف بسبب كتابه هذا

(١) جار الله بن فهد: النكت الظراف ٢ أ.

(٢) نفس المصدر ٢ أ.

(٣) نفس المصدر ٥٩ أ.



معارضة ونقاشاً واتّهاماً من طرف بعض مثقفي عصره وبلده مكة المكرمة. إذ اعتبروا أن محتوى الكتاب هو غيبةٌ ومسّ بأعراض أشرف الناس. ثم عملوا على إزالة الكتاب ومحو نسخته بالماء بل وبتمزيقه. وتوالى بعد ذلك الحوارات حوله الاتهامات والأقوال من المناهضين ثم الأجوبة والدفاع من المؤلف وممن وقفوا معه في محنته. فكان في ذلك أخذ وردّ ونقاش واتّهام وأجوبة مما يتبيّن للقارئ أمره في ما يرد ويأتي من هذا البحث. ولذلك مرّ الكتاب في تأليفه وصدوره ووصوله للقراء بمراحل أبرزها ما يلي:

- أُلّف الكتاب أولاً فظهر منه الإصدار الأول.
- ظهور مناهضات واتهامات ضده.
- وقوع محو الكتاب بالماء وتمزيقه من المعارضين.
- ردّ المؤلف على آراء المناهضين وذلك بتأليف كتابه الذي عنوانه: النصر والإسعاف، على المنتقدين لمؤلفي النكت الظراف.
- أعاد جابر الله بن فهد تأليف كتابه وأخرج النسخة الأولى من الإصدار الثاني سنة ٩٤٨ هـ. ثم كتب نسخاً أخرى كثيرة منه.
- أخرج النسخة الأخيرة من الإصدار الثاني سنة ٩٥٠ هـ ..

وهذه المراحل لم نعرفها ولم نعرف تفاصيلها إلا من خلال نصوص هذا الكتاب وما ذكره مؤلفه فيه عن محنته بالمعارضة التي واجهت تأليفه لكتابه هذا.

### الإصدار الأول من الكتاب:

على الرغم من أنه ليس بين أيدينا نص يحدّد تاريخ التأليف فإنه يبدو أن جابر الله بن فهد أُلّف كتابه النكت الظراف بعد سنة ٩٤٤ هـ. وقبل سنة ٩٤٨ هـ.. السبب في ذلك أن المؤلف لم يذكره في كتابه نيل المنى، بذيل بلوغ القرى، لتكملة إتحاف الورى. إذ لو كان أُلّف النكت الظراف قبل إنهاء كتابه نيل المنى لكان ذكره فيه. فإن جابر الله التزم أن يذكر كل التفاصيل عن حياته ومؤلفاته ومشاركاته في الحركة العلمية والثقافية بصفة دقيقة خاصة وأنه تناول فيه الأخبار بترتيب الحوليات موالياً عرضها على ترتيب الشهور والأيام. والمطالع لكتاب نيل المنى يدرك مدى التزامه بذلك. وهذا ما يجعلني

أعتقد أن كتاب النكت الظراف لم يُؤلف إلا بعد إنهاء نيل المنى أي بعد سنة ٩٤٤ هـ .. أما التاريخ الثاني وهو سنة ٩٤٨ هـ . الذي قلتُ إن الكتاب أُلّف قبله فإنه عُرف بما ذكره المؤلف في نهاية النسخة التي بين أيدينا عند حديثه عن الإصدار الثاني للكتاب الذي عيّن تاريخه بشهر شعبان سنة ٩٤٨ هـ ..

### ردود فعل المؤلف عند ظهور الإنكار والمعارضات والاتهامات:

من خلال ما بين أيدينا من نصوص الكتاب لاحظتُ أن ردود فعل المؤلف على المنكرين تنوّعت وتعدّدت. فهو تارة يصفهم بسوء القصد والغرض والحسد والجهل، كما يعرض اتهاماتهم له فيفتنّها بأقواله وحججه ثم يلتجئ إلى الدعاء عليهم أو إلى القسم بالأيمان المغلّظة أنه لم يقصد الإساءة للناس قديمهم وحديثهم وأنه ليس في تأليفه قصد الغيبة وأنه يسلي نفسه وأهل العاهات بأخبار المصابين قبلهم وأنه يذكرهم ويذكر نفسه بما يجب عليهم من الصبر والتحمل بواسطة إيراد الأحاديث والقصص والأشعار. ويبلغ الأمر بالمؤلف إلى أن يضع كتاباً يردّ به عليهم وجعل عنوانه «النصرة والإسعاف، على المنتقدين لمؤلفي النكت الظراف» بين فيه حدود الغيبة وتعريفها قال عن ذلك: وقد لخصتها بطريق الإنصاف، في مؤلفي النصر والإسعاف، على المنتقدين لمؤلفي النكت الظراف، فليراجعها طالبها في أصلها، مع ذكر الموعظة فيها وما يحرم من فعلها، وذكر النبي ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لبعضها<sup>(١)</sup>. وصرّح أيضاً بأنه ألفه سنة ٩٤٩ هـ . [١٥٤٢م / ٩٤٩ هـ].<sup>(٢)</sup>

ويبدو أن المؤلف لم يكتفِ بالجواب بهذا الكتاب بل عاد إلى مؤلفه النكت الظراف فألّفه من جديد وكتب الإصدار الثاني له الذي يحتوي على إضافات هامة على ما كان كتب في الإصدار الأول وذكر ذلك فقال: وقد زدْتُ فيه زيادات كثيرة تأتي مقدار أصله. وكتب النسخة الأولى منه في شهر شعبان سنة ٩٤٨ هـ . بمكة المشرفة<sup>(٣)</sup>.

وتأتي المرحلة الأخيرة وذلك بكتابه للنسخة الأخيرة من الإصدار الثاني في سنة ٩٥٠ هـ . في أحد أودية مكة المعروف بوادي البرابر وهو ما يوضّحه النص الذي ختم

(١) نفس المصدر ١٠ أ - ب.

(٢) نفس المصدر ١٣ ب.

(٣) نفس المصدر ٥٩ أ.

به المؤلف النسخة المخطوطة الوحيدة التي سبق لي تحقيقها وهي التي اعتمدتها في هذه الدراسة. فإن المؤلف يقول في ذلك: وكتبتُ أصل هذه النسخة بعد غسل الأولى من المنقّصين، الحُسد في الدين، في العشر الأخير من شهر تأليفه وهو شعبان عام ثم ان وأربعين وتسعمائة [٨٩٤٨ هـ / نوفمبر - ديسمبر ١٥٤١م] بمكة المشرفة. ثم كتابة هذه النسخة بعد نسخ متعدّدة وذلك في سلخ جماد الأول عام خمسين وتسعمائة [٩٥٠ هـ / ٣١ أغسطس ١٥٤٣م] بوادي البرابر، أحد أودية وادي مرّ من أعمال مكة المشرفة. شرفها الله تعالى<sup>(١)</sup>.

### المؤلف يصف المنكرين ويذكر اعتراضاتهم:

تعددت النصوص التي وردت في الكتاب فوصف فيها المؤلف مناهضيه ومنتقديه والمنكرين لتأليف الكتاب مع ذكر اعتراضاتهم عليه. وأرى من الأجدر عرضها بنصوصها لتتّضح للقارئ ظروف هذه القضية فقال:

■ فلا يظنّ بذلك الظانون، ما يعتقده الجاهلون، من ذوي العقول السخاف، بأنه ثلب للأشراف، وذلك منهم غيبة وإلباس، ووقية من أكابر الناس<sup>(٢)</sup>.

وأما ما ارتكبه المنكرون عليّ من البهتان، والإفك والعدوان، وقصدوا به الأذى والنقيصة، فليس لهم من عقاب الله محيصة، فإنهم استباحوا مني ومن أقاربي الأعراض، ونسبوا إليّ جملة من النقيصة والأمراض، التي عافانا الله منها وبرأنا من قائلها وصارت لنا حسنات ولهم سيئات يُطالبون بها يوم الحساب، كما ورد في الحديث الشريف بالقول الصواب<sup>(٣)</sup>.

■ واتفق لي بعد الإنكار عليّ من بعض من ذكرته في الصلغان، وهم في الحقيقة قرعان من أهل البلاد وفجّار العصر، أنني تركتهم إهمالاً لهم لكونهم ليس بهم فخر، خصوصاً وقد لحقتهم حمية الجاهلية بأخذ الثأر في النكير<sup>(٤)</sup>.

(١) نفس المصدر ٥٩ أ.

(٢) نفس المصدر ٢ أ.

(٣) نفس المصدر ١٤ ب - ١٥ أ.

(٤) نفس المصدر ١٥ أ.

▪ فحينئذٍ دلني ذلك على كثرة الجهل والبهتان، ونقصان أهل الزمان، وعُدم كثير من العلماء يرجعون إليه ويعولون في أمورهم عليه<sup>(١)</sup>.

▪ وقد توسّلتُ بالنبي المختار، وما رويته عنه من الأحاديث والآثار. وكذا عن الصحابة السادة الأخيار، أن يكفيني شر الجهلة الفُجَّار، لما نسبوا إليّ في هذا التأليف من البهتان والإفك والعار، وقصدوا به أخذ الثَّار، أذاقهم الله حرَّ النار، وخذلهم ونصرني عليهم طول الأعصار، وعافاني من البلاء والمحن في كل وقت وزمن إنه بالآمال كفيل، وهو حسبي ونعم الوكيل<sup>(٢)</sup>.

▪ فلذلك وصفتُ به نفسي مع جماعة من أكابر بلدي في الصلغان وهم في الحقيقة قرعان فأقاموا عليّ النكير لأجلها وكوني ذكرتهم فيها، وتركتهم حينئذٍ من الكلام، بما لم يقدم غير الملام<sup>(٣)</sup>.

▪ ويصفهم في نهاية الكتاب فيقول: وهذا آخر ما ذكرته، وفي هذا التأليف أثبتُّه. وقد زدْتُ فيه زيادات كثيرة تأتي مقدار أصله، رغباً للمعاند المطالب بتمزيقه وغسله، من الجهلة الأطراف، ذوي العقول السخاف<sup>(٤)</sup>.

▪ ثم يقول: وأسأل من الله القبول، ويبلغني به نهاية القصد والسؤل، ويكفيني شر الأعداء والحاسدين، بجاه سيد المرسلين، ﷺ، وشرف وكرم، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وهو بالآمال كفيل<sup>(٥)</sup>.

يضاف إلى ذلك دعاء عليهم لكف شرهم ودعاء لنفسه لحمايته منهم فيقول: فاستعين عليهم بالله وأعتصم بحبل الله، وأقول حسبي الله وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وعليه أنيب، وأوكلَ أمري إلى الله القريب المجيب<sup>(٦)</sup>.

كما يحدثنا جار الله عما وقع للإصدار الأول من الكتاب. ويبدو أن المنكرين عليه تأليف كتابه هذا قاموا بعملين ماديَّين قصدوا بهما منع الكتاب من الوصول للقراء

(١) نفس المصدر ١٥ ب.

(٢) نفس المصدر ٣٨ أ.

(٣) نفس المصدر ٤٢ أ.

(٤) نفس المصدر ٥٩ أ.

(٥) نفس المصدر ٥٩ أ.

(٦) نفس المصدر ١٥ ب.

من مثقفين وعامة. فروى المؤلف أنهم بلّوا الكتاب بالماء لمحو كتابته والتعمية على قُرَّائه، كما ذكر أنهم مزَّقوه. ولكنه في نفس الوقت لم يوضّح كيف وصلوا إلى النسخة ولا كيف حاولوا إتلافها بالمسح والتمزيق، وفي أيّ ظرف مكاني أو زماني وقع ذلك؟ فقال تارة: وقد لحقتهم حمية الجاهلية بأخذ الثَّار في النكير، وما سكن عنهم الزفير، وأُظْفَى السعير، إلا ببَلْ نسخة من هذا التَّأليف بالماء، وعند الله يجتمع الخصماء<sup>(١)</sup>.

وأشار إلى ذلك في نهاية الكتاب بقوله: رَغماً للمعاند المطالب بتمزيقه وغسله، من الجهلة الأطراف، ذوي العقول السَّخَاف<sup>(٢)</sup>.

وعلى الرغم من كثرة وتعدّد شكوى المؤلف جار الله بن فهد من معارضيهِ والمنكرين عليه تأليفه كتابه النكت الظرف، وعلى الرغم من وصفه لهم بالأوصاف الأخلاقية والعلمية الذميمة، فإنه يذكرهم دائماً بصيغة الجمع ولم يذكر لنا اسم واحد منهم ولا حتى نسبته أو ما يدلّ عليه. فالذين سمّاهم بالمنكرين والمعارضين لا يزالون مجهولين عند قارئ الكتاب ولم نعرف من أسمائهم غير إشارة من المؤلف لأحد كبار فقهاء ومحدّثي مكة الشيخ ابن حجر الهيتمي المكي<sup>(٣)</sup> وهي إشارة منه جاءت في نص لا يخلو من بعض غموض.

فإن المؤلف ضَمَّنَ الباب الثاني من كتابه ذَكَرَ ثمانية من الحول في تاريخ الإسلام وهم: عامر بن عبد الواحد الأحول، وعاصم الأحول، وأبان بن عثمان بن عَقَّان، وزياد بن أبيه، وأبو بردة الأشعري، والخليفة هشام بن عبد الملك وسلمة بن دينار المدني ثم أضاف إليهم ابن حجر المكي في نص قال فيه:

وهؤلاء سبعة<sup>(٤)</sup> من الفحول لهم في زماننا ثامنٌ من الحول، وهو أحد المدرسين، بحرم الله الأمين، شهاب الدين أحمد بن جمال الدين الهيتمي القاهري الملقب بابن حجر،

(١) نفس المصدر ١٥ ب .

(٢) نفس المصدر ٥٩ أ .

(٣) ابن حجر الهيتمي مصري دخل مكة للدراسة مرات منذ سنة ٩٣٣ هـ / ١٥٢٦ م. ثم استقر بها بداية من سنة ٩٤٠ هـ / ١٥٣٣ م وأقام بها وانتسب إليها إلى وفاته سنة ٩٧٤ هـ / ١٥٦٦ م. وقد قدّمت رسالة دكتوراه إلى جامعة أم القرى سنة ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م بعنوان: ابن حجر الهيتمي المكي وجهوده في الكتابة التاريخية. ثم طبعت القاهرة، نشر مكتبة ومطبعة الغد. (الباحثة).

(٤) يذكر المؤلف في كتابه أنّ عدد الحول الذين ذكرهم قبل سبعة في حين أنّ عددهم ثمانية لا سبعة.

مُشَبَّهًا لِمَنْ مَضَى فِي الْأَثَرِ، وَفَرَّقَ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ فِي الْحِفْظِ وَالْقَضَاءِ وَصَحَّةِ الْعَيْنِ، وَكُنْتُ أَوَّلًا مَا ذَكَرْتَهُ فِي ذَوِي الْعَاهَاتِ، حَتَّى بَارَزَنِي بِكِتَابَتِهِ عَلَى الْفَتَوَى وَالْخُصُومَاتِ، الَّتِي أَرَادَ بِهَا الظُّهُورَ، وَهُوَ قَصَّامُ الظُّهُورِ، فَذَكَرْتُهُ لِيَعْلَمَ خُصُوصِيَّتَهُ. وَرَحِمَ اللَّهُ صَاحِبَ الْحُكْمِ، حَيْثُ قَالَ فِي أَحْوَالِ الْأُمَمِ: الْخُمُولُ نِعْمَةٌ وَكُلُّ يَأْبَاهُ، وَالظُّهُورُ نِقْمَةٌ وَكُلُّ يَتِمْنَاهُ، وَلِلَّهِ دَرُ بَعْضُهُمْ [٥٠-ب] حَيْثُ قَالَ فِي الْمَعْنَى.

ل . ذُ خُمُولِي وَحَدَّ لَأَمْرُهُ      إِذْ صَانَنِي عَن كُلِّ مَخْلُوقٍ  
نَفْسِي مَعْشُوقِي وَلِي عِبْرَةٌ      تَمْنَعُنِي عَن بَذْلِ مَعْدَى وَقِي

فَالَّذِي يُفْهَمُ مِنْ هَذَا النَّصِّ أَنَّ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ لَمْ تَكُنْ عَلَى أَحْسَنِ الْأَحْوَالِ. فَإِنَّهُ يَذْكُرُ أَنَّ تَسْمِيَّتَهُ بِابْنِ حَجَرٍ لَا تَجْعَلُهُ مِثْلَ ابْنِ حَجَرِ الْعَسْقَلَانِيِّ حَيْثُ يَتَحَدَّثُ عَنْهُ فَيَقُولُ: أَحَدُ الْمُدْرَسِينَ بِحَرَمِ اللَّهِ الْأَمِينِ، وَذَكَرَ اسْمَهُ فَجَعَلَهُ قَاهِرِيًّا وَلَيْسَ مَكِّيًّا. وَأَمَّا الْمِشَابَهَةُ بَيْنَ ابْنِي حَجَرِ الْعَسْقَلَانِيِّ وَالْهَيْتَمِيِّ فَإِنَّهُ أَبْرَزَ الْفَارِقَ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ فِي الْحِفْظِ وَالْقَضَاءِ وَأَنَّ الْهَيْتَمِيَّ أَحْوَلُ وَالْعَسْقَلَانِيَّ صَحِيحَ الْعَيْنِ لَيْسَ بِهِ حَوْلٌ.

أَمَّا الْعَنْصَرُ الثَّانِي مِنَ الْفَقْرَةِ السَّابِقَةِ فَإِنَّهُ يَشِيرُ إِلَى أَنَّ ابْنَ حَجَرِ الْهَيْتَمِيِّ بَارَزَ جَارَ اللَّهِ بْنِ فَهْدٍ بِكِتَابَتِهِ عَلَى الْفَتَوَى وَالْخُصُومَاتِ وَلَمْ يُوَضَّحْ هَلْ هِيَ فَتَوَى مُتَعَلِّقَةٌ بِالْكِتَابِ؟ وَهَلِ الْخُصُومَاتُ مُتَعَلِّقَةٌ بِالْكِتَابِ أَوْ بِأَمْرِ آخَرَ؟

وَيَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ الْعَنْصَرُ الثَّالِثُ الَّذِي يُوَجِّهُ فِيهِ جَارَ اللَّهِ التَّهْمَةَ إِلَى ابْنِ حَجَرٍ بِأَنَّهُ يَرِيدُ بِمَوْقِفِهِ الظُّهُورَ وَالْبُرُوزَ مَقْدَمًا لَهُ الدَّرْسُ وَالنَّصِيحَةُ بِعَدَمِ الْمِيلِ لِلظُّهُورِ الَّذِي هُوَ قَاصِمٌ لِلظُّهُورِ.

### الطرق التي سلكها المؤلف في الردِّ على المنكرين:

إِنَّ مَا أَثِيرَ حَوْلَ الْكِتَابِ مِنَ الْمَعَارِضَةِ وَالنَّكِيرِ جَعَلَ الْمَوْلَفَ يُلْجَأُ إِلَى أَسَالِيْبٍ مُتَنَوِّعَةٍ مِنَ الرَّدِّ وَالتَّبَرُّؤِ مِمَّا أُلْحِقَ بِهِ مِنَ التَّهْمِ.

فَهُوَ تَارَةً يَصْرِّحُ وَيَكْرِّرُ الْقَوْلَ بِأَنَّهُ لَمْ يَقْصِدْ بِعَمَلِهِ هَذَا الْغِيْبَةَ وَلَا ذَكَرَ عِيُوبَ النَّاسِ وَتَتَبَعَهَا لِلْإِسَاءَةِ وَالتَّنْقِيسِ مِنْهُمْ، وَإِنَّمَا كَانَ قَصْدُهُ تَسْلِيَتِهِمْ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ بِتَذْكِيرِهِمْ وَوَعْظِهِمْ بِمَا أَصَابَ غَيْرَهُمْ مِنْ أَكْبَارِ الْقَوْمِ فِي الدِّينِ وَالْعِلْمِ وَالْإِسْتِهَارِ. مُؤَكِّدًا أَنَّهُ لَمْ

يقصد النقيصة بهم. فبيّن أولاً أحكام الغيبة ناقلاً عن أحد كبار شيوخ معاصريه فقال: ثم قصدت بعده لبيان جواز الغيبة في الأد وال ستة خصال قالها الفقهاء والعلماء النبهاء، ونقلتها من خط شيخ الإسلام، مفتي الأنام كمال الدين محمد بن أبي شريف القدسي الشافعي<sup>(١)</sup> - رحمه الله تعالى - وصورتها: ومن نظم كاتبه بيتان نظم فيهما المواضع الستة التي لا يك ون القدح فيها غيبة كما ذكره الإمام النووي في الإنكار، وفي أوائل النكاح من الروضة، وهي: التظلم لمن له قدرة على الإنصاف كظلمني فلان بكذا، والاستعانة على تغيير المنكر كفلان مرتكب كذا، والاستفتاء كما طريقي في الخلاص من فلان فقد فعل كذا؟، وتحذير المسلمين كنصح المستشار في خاطب أو شريك أو برأي معيب ونحو ذلك، وذكر المجاهر بالفسق بما تجاهر به من فسقه، وتعريف مشهور بلقب كالأعمش سليمان بن مهران، والأعرج عبد الرحمن بن هرمز. والبيتان هما.

القدح ليس بغيبة في سدة      متظلم . م و مع . رف ومحذر  
ومجاهر بالفسق ثمت سائل      ومن اس تعان على إزالة منكر

فعلم من هذه الخصال الستة بأن ذكرني لذوي العاهات المذكورين ليس بغيبة، لأنني لم أقصد لهم النقيصة، وإنما أردت تعريفهم والتسلي بهم والموعظة الخصيصة. كيف وقد ذكرت نفسي في الصلح وجدّي لأمي في العُرج وجماعة من مشائخي الأجلاء في العُمني وغيرهم من العلماء والصحاباة الأتقياء الذين هم كالنجوم، وكل من اقتدى بهم اهتدى للعلوم، رضي الله عنهم ونفعنا بهم<sup>(٢)</sup>.

وينفي جار الله عن نفسه ما ألحقه به المنكرون من تُهم الغيبة والإساءة للناس فيذكر سبب التأليف والغاية منه قائلاً: سببه<sup>(٣)</sup> أنني اجتمعت ببعض الأعيان، وأحد فضلاء الزمان، وذكرنا الماضيين من العميان والعوران والقرحان والصلعان، ممن حصل له ذلك من الأعيان، فتشوّقت نفسي لجمعه خصوصاً ورأيت بعض علماء الحنفية ذكره في

(١) ابن أبي شريف توفي (٩٠٦ هـ / ١٥٠٠ م) كانت له علاقات علمية كبيرة بمكة، وأقام فيها كثيراً. انظر ترجمته في كتاب التاريخ والمؤرخون بمكة لمحمد الحبيب الهيلة ص ١٦٧.

(٢) جار الله بن فهد: النكت الظراف ١٢ ب - ١٣ أ.

(٣) في حاشية الورقة ٢ أ من الجهة اليسرى هامش بخط المؤلف نصه: قصدت ببعض الأعيان خطيب المسجد الحرام الإمام ... أبي اليمن الطبري وأحد فضلاء الزمان المحبي محمد شيخنا أبو .... المكي الشافعيان أدام الله النفع بهما في كل زمان.

وضعه. فلا يَظُنْ بذلك الظانون، ما يعتقده الجاهلون، من ذوي العقول السخاف، بأنه تلب للأشراف، وذلك منهم غيبة وإلباس، ووقية من أكابر الناس، بل والله العظيم قصدت بتأليفه الإيقاظ، وتسليية من ابتلي به والآعاظ، لمن حصل له الابتلاء من الأكابر، في الزمن الغابر. واقتديتُ في فعل ذلك بمن سبقتني من العلماء لهذا الطريق السالك<sup>(١)</sup>.

### المناصرون للكتاب والمؤلف:

تكرر من المؤلف عند ذكره المنكرين وأوصافهم الذميمة أن يذكر أولئك الذين لم يكونوا من المنكرين واعتبرهم من ذوي الإينصاف وأنهم من العلماء الظراف الذين ينظرون إلى الكتاب بعين اللطف والإسعاف<sup>(٢)</sup>. وفي هذا وفي غيره من النصوص ما يدل على أنه لم يكن كل المجتمع المكي المثقف ضد ظهور الكتاب وانتشاره.

ويبدو أن بعض المناصرين للمؤلف مقتنعون بأن الأعداء المنكرين أرادوا اتهامه ظلماً وعدواناً ووقف بعض المناصرين بجانب جار الله فوضع أحدهم شعراً يتضمن حديثاً نبوياً يناسب الوضع. فقد ذكر المؤلف ما نصه:

وقد نظم بعض الأحباب، والأدباء الأجباب، قوله ﷺ «من قفى أخاه بشيء يسيئه يُريد سبته به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال» وهو:

من كان قفى بشيء مسدداً	بـه يريد له التنقيص في البشر
يوم المعاد على جسر السعير له	حبس وناهيك ذاك الخوف من كدر
حتى ما يخرج مما قال فيه ولا	خروج بالإفك والبهتان من صقر <sup>(٣)</sup>

وبعد أن وقع محو الكتاب بعشرين يوم نزل سيل إلى الحرم المكي فاعتبره المؤلف وجماعته إرهاباً يدل على الظلم الذي سُلِّطَ عليهم - حسب تصورهم - فروى المؤلف القصة قائلاً:

واتفق لي بعد الإنكار عليّ من بعض من ذكرته في الصلغان، وهم في الحقيقة قرعان من أهل البلاد وفجّار العصر، أنني تركتهم إهمالاً لهم لكونهم ليس بهم فخر، خصوصاً

(١) جاز الله بن فهد: النكت الظراف ١٢ - ٣ ب.

(٢) نفس المصدر ٥٩ أ.

(٣) نفس المصدر ١٥ أ.



وفد لحقتهم حمية الجاهلية بأخذ الثَّارِ فِي النُّكْرِ، وما سكن عنهم الزَّفِير، وَأَطْفَى السَّعِير،  
إِلَّا بِبَلِّ نَسْخَةٍ مِنْ هَذَا التَّأْلِيفِ بِالْمَاءِ، وَعِنْدَ اللَّهِ يَجْتَمِعُ الْخَصْمَاءُ. وَكَانَ مَا فَدَرَهُ اللَّهُ  
تَعَالَى مِنَ الْإِيقَازِ، الَّذِي يَحْصُلُ بِهِ الْإِتْعَازُ، أَنَّ بَعْدَ عَشْرِينَ يَوْمًا مِنْ بَلِّ الْمُؤَلَّفِ الْمَذْكُورِ،  
حَصَلَ لِمَكَّةَ سَيْلٌ عَظِيمٌ مَشْهُورٌ، دَخَلَ إِلَى الْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَبَلَّ فِيهِ  
الْمَصَاحِفَ وَالرَّبْعَاتِ الْعِظَامَ، فَقَالَ فِي ذَلِكَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ الْحَسَنِ الْمَسَالِكِ، مُنْبَهًا لِلْمَوْعِظَةِ  
هَنَالِكَ، بِأَبْيَاتٍ مَطْوَلَةٍ وَمَخْتَصَرَةٍ، فَأَذْكَرَ مِنْهَا هُنَا الْأَخِيرَةَ وَهِيَ:

مَ حَ . مَ مَوْلاً . ف ج . مَ رَ اللَّهُ أَفْئِدَةٌ      فِي شَهْرِ شَعْبَانَ يَوْمَ الْخَمِيسِ مِنْهُ فَقَطْ  
فَجَاءَهُ مَ السَّيْلُ فِي خَمْسٍ وَيَعْقِبُهَا      عَشْرُونَ مِنْ عَامٍ مَحْطٍ وَالْبِنَاءُ سَقَطَ  
فَه . ذَهَبَ نَصْرُ . رَعْمَتٍ وَتَذَكَّرَ      فِيهِ مَ اعْتَبَرَ لِمَنْ وَدَى بِهِ مَ وَلَفَطَ

فَحِينُنْزُ دَلَّنِي ذَلِكَ عَلَى كَثْرَةِ الْجَهْلِ وَالْبَهْتَانِ، وَنَقْصَانِ أَهْلِ الزَّمَانِ، وَغُذْمِ كَثِيرٍ مِنَ  
الْعُلَمَاءِ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ وَيَعُولُونَ فِي أُمُورِهِمْ عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>.

وَمِنْ وَسَائِلِ الرَّدِّ عَلَى الْمُنْكَرِينَ عَمْدَ الْمُؤَلَّفِ إِلَى الْإِسْتِجَادِ وَالِانْتِصَارِ بِالْعُلَمَاءِ  
مِنْ خَارِجِ مَكَّةَ، فَتَوَجَّهَ إِلَى أَرْبَعَةٍ مِنْ عُلَمَاءِ الْقَاهِرَةِ يَنْسَبُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى مَذْهَبٍ  
مِنَ الْمَذَاهِبِ السُّنِّيَةِ الْأَرْبَعَةِ. كَمَا تَوَجَّهَ أَيْضًا إِلَى صَدِيقٍ لَهُ مِنْ عُلَمَاءِ الشَّامِ، دِمَشْقِي  
اشْتَهَرَ بِعُلُومِ التَّارِيخِ وَالْأَدَبِ وَالْحَدِيثِ وَأَلَّفَ فِيهَا الْمُؤَلَّفَاتِ الْعَدِيدَةَ. فَطَلَبَ مِنْهُمْ جَارَ اللَّهِ  
آرَاءَهُمْ فِي تَأْلِيفِهِ لِيَكُونَ لَهُ فِي أَجُوبَتِهِمْ نَصْرَةٌ لِكِتَابِهِ وَرَدًّا رَادِعًا لِلْمُنْكَرِينَ وَالْمُعَارِضِينَ  
الْمَكِّيِّينَ. ذَكَرَ ذَلِكَ فِي نَصِّ وَاضِحٍ فَقَالَ:

ثُمَّ إِنِّي كَتَبْتُ سُؤَالَ لِعُلَمَاءِ الْقَاهِرَةِ، أَطْلُبُ مِنْهُمْ النَّصْرَةَ وَدَفْعَ الْمَقَاهِرَةِ، فِي عَامِ  
تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ وَتِسْعِمِائَةٍ [٥٩٤٩ هـ / ١٥٤٢ م] لِمَنْ أَتَكَرَّ عَلَيَّ فَعَلَ هَذَا التَّأْلِيفِ. فَكَتَبَ  
لِي عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ بِجَوَابٍ لَطِيفٍ. وَصُورَةُ ذَلِكَ، لِيَقْتَدِيَ بِهِ  
كُلُّ مُهْتَدٍ سَالِكٍ: مَا قَوْلُكُمْ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْكُمْ - فِي رَجُلٍ مِنْ طُلُوبَةِ الْعِلْمِ أَطَّلَعَ عَلَى  
كِتَابٍ يَقَالُ لَهُ مَفِيدُ الْعُلُومِ، لِعَالِمِ الْحَنْفِيَّةِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ مُوسَى الْخَوَارِزْمِيِّ الْمَعْلُومِ،  
وَرَأَى فِيهِ أَبْوَابًا فِي ذِكْرِ عِلَالِ الْأَشْرَافِ، ذَكَرَ فِيهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَكْبَارِ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَخَلْفِهَا  
مِمَّنْ اتَّصَفَ بِذَلِكَ كَالْأَعْرَجِ وَالْأَقْرَعِ وَالْأَعْمَى وَأَشْبَاهِهَا. فَلَمَّا رَأَاهُ أَلْفَ كِتَابًا مُفْرَدًا فِي

(١) نفس المصدر ١٥ أ - ب. وهذا من خرافات ذلك العصر.

هذا المعنى معللاً إفدامه على ذلك بما علل به صاحب الكتاب المذكور من قصد العظة والاعتبار والتسلية. فهل القصد المذكور يبيح الإقدام على ذلك أم لا؟ أفتونا مأجورين أثابكم الله تعالى الجنة.

وكتب عليه أربعة أنفس منهم ونقلت من خطهم ما صورته فالأول: الحمد لله رب العالمين، اللهم صل على محمد وآله وسلم. الإقدام على ذلك بالقصد المذكور ليس قبيحاً، وقد سبق إلى هذا ابن قتيبة وذكر أهل العاهات كالبرص والعرج والصمم والجذع والحول والزرق والفقم والكواسج والصلع والبخر والغور والمكافيف. والله سبحانه وتعالى أعلم.

وكتبه مسلم المدعو أبو الفيض بن علي السلمي الحنفي، عفا الله عنه.

وكتابة الثاني: بعد الحمد لله، اللهم ألهمني الصواب، جوابي كذلك والله أعلم بالصواب. كتبه أحمد بن النجار الحنبلي حامد الله ومصلياً ومسلماً.

وكتابة الثالث: الحمد لله رب العالمين، جوابي كذلك. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب. وكتبه الفقير ناصر اللقاني المالكي حامداً مصلياً ومسلماً.

وكتابة الرابع: الحمد لله جوابي كذلك والله أعلم، وكتبه أحمد البلقيني الشافعي لطف الله به والمسلمين آمين. انتهى ما كتبه علماء القاهرة من المذاهب الأربعة والله الحمد والمنة.

ثم وصلني في عام تاريخه رسالة من الشام، كتبها لي العلامة الهمام، محدث دمشق ومؤرخها ومحبي علوم الأثر فيها الشمسي أبو عبد الله محمد بن طولون الصالحي الحنفي - نفع الله به - وعاملني وإياه بلطفه الخفي، ذكر فيه: وأما ما ذكرتموه من أمر مؤلفكم النكت الظراف فقد قال الإمام شمس الدين محمد بن مفلح الحنبلي في كتابه الآداب الشرعية: ذكر القفطي عن قوم أن الغيبة إنما تكون في الدين لا في الخلقة والحسب إلا إذا قال ذلك على وجه الغيب. وعلى ذلك مشى الإمام أبو محمد بن قتيبة في كتابه المعارف فإنه ذكر فيه الفلج، والعرج والبرص ونحو ذلك.

ولا شك أن المصنفين ألفوا في هذا المعنى كالصلاح الصفدي في كتابه الشعور، بأخبار العور ونكت الهميان، في نكت العميان وأنهم لم يقصدوا العيب وإنما قصدوا

العلم والإحاطة لمن اتفق له ذلك من الأعيان، وإفادته لمن بعده الاعتبار والاتعاظ، كما نقله العلماء الأيقاظ. انتهى.

وقد وصل مشرفكم وأنا أكتب في تعليقي «تعجيل البشارة لمن صبر، على ذهاب البصر» فكان مانعاً لي من ذكر أحدٍ من الأحياء فيه وهو في عشر كراريس. انتهى بحروفه والله الحمد<sup>(١)</sup>.

### مصادر الكتاب:

يمكن أن نقسم مصادر جار الله في الكتاب إلى نوعين:

( أ ) مشاهداته: ومنها استقى الأخبار التي أوردها نتيجة لمشاهداته ومعايشته للحدث.

(ب) نقوله من الكتب وهي الأخبار التي أوردها من المصادر المكتوبة (المؤلفات) ونقل منها عناصر تهم الموضوع.

(أ) أما الأخبار التي أوردها المؤلف نتيجة لمشاهداته ومعايشته للأحداث فقد أضافت معلومات تفيد من الناحية التاريخية التي تهم عصره. ويمكن أن ننوع أخبار عصره إلى ميادين تتنوع كما يلي:

▪ أخبار متعلقة بالخلاف الذي قام بين المؤلف وبين المنكرين عليه تأليفه مما ذكرناه سابقاً. وقد وردت في الورقات ٢ ب، ٩ ب، ١٢ ب، ١٤ ب، ١٥ أ، ٣٨ أ، ٥٨ ب، ٥٩ أ.

▪ أخبار ذكر فيها علماء معاصرين له من مكين وغير مكين أصيبوا بعاهاات جسدية. وهؤلاء المذكورون في نص الكتاب هم: ومعاصروه المذكورون هم: علي السنهوري ومحمد الداودي المالكي ومحمد الدواخلي والمستمسك ابن المتوكل العباسي والتقي الفاسي وكمال الدين القسطلاني والشمس البساطي وعبد القادر بن أبي القاسم المكي وأبو السعادات الطبري ومحمد بن عبد القوي البجائي وزكريا الأنصاري وعبد الحق السنباطي وأبو بكر بن قاضي

(١) نفس المصدر ١٣ ب - ١٤ ب.

عجلون وقطب الدين محمد بن سلطان ومحب الدين النويري ومحمد بن علي بن الصائغ وأبو بكر الحبشي الملقب بالعيدروس وعبد القادر البهنساوي وعبد الوهاب الكرمانلي ومحمد النهروالي وابنه قطب الدين النهروالي المؤرخ ومحمد بن مخراق البصري وأحمد الرداد اليمني وعلاء الدين بن مليك الحموي وعبد اللطيف الديربي، ابن حجر المكي الهيثمي. وردت أخبارهم في الورقات، ٢٣ ب، ٢٤ ب، ٢٦ أ، ٤٤ ب، ٥٠ أ، ٥٠ ب، ٥١ أ، ٥١ ب.

▪ خبر عن حوار وقع بينه وبين أحد معاصريه وهو أيوب الأزهري المكي في الورقة ٨ أ.

▪ خبر منقول مباشرة عن بعض أهل الأدب يذكر قصة لها علاقة بالدعوة إلى الصبر وذلك في الورقة ٨ ب.

▪ أخبار ونصوص تنقل أشعارًا قالها بعض معاصريه وردت في الورقات ١٥ أ وب، و ٢٤ أ، ٢٦ ب.

▪ خبر عن سيل حدث بمكة في سنة ٩٤٨ هـ / ١٥٤١ م. وذلك في الورقة ١٥ ب.

(ب) وأما الأخبار المنقولة من الكتب فهي كثيرة. وبما أن مصادر أي تأليف يجب أن تتناسب مع موضوع الكتاب، كما يجب أن تكون متناسبة مع اختصاص المؤلف في ثقافته ومع مستوى معرفته وثقافته كثرة واتساعاً أو ضيقاً ومحدودية.

فالناظر في عنوان الكتاب يلاحظ أنه وُضع لغاية تاريخية في الدرجة الأولى ثم غاية تربوية، حيث قصد به تسلية المصابين بالعاهات الجسدية حتى يقوَّي تحمُّلهم لمصابهم بالاعتماد على التوعية الدينية ويواسطة النصوص الحديثة وقصص المصابين من الأنبياء والصالحين والمشاهير من الناس، مع التذكير بثواب الصابرين.

إنَّ العارف بشخصية المؤلف واختصاصه العلمي يلاحظ أن جار الله بن فهد كان محدثاً بلغ درجة الحفظ في الحديث وهو ما اشتهر به في عصره، ثم هو مؤرخ بارع في مجال سرد الحوادث تدلَّ على ذلك مؤلفاته التي مسَّتْ أغلب فنون الكتابة التاريخية المتداولة في عصره. وهو ما حاولنا توضيحه في الترجمة الموجزة التي قدمناها سابقاً.

ومن خلال موضوع الكتاب واختصاصات المؤلف العلمية نستطيع أن نقرأ قائمة الكتب التي اعتمدها المؤلف في كتابه واتخذها مصادره فيه. وهي حسب الاختصاصات كما يلي<sup>(١)</sup>:

### كُتُبُ التفسير:

- تفسير الرازي ١٧.
- تفسير الكشاف لجار الله الزمخشري ١٦.
- كتاب نفائس العرائس للثعالبي ٧ب، ١٨أ

### كُتُبُ الحديث:

- صحيح البخاري ٧ أ، ٢٤ ب.
- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري لمحمد الكرمانى ٢٢.
- كتب السنن لابن ماجه والنسائي ١٦.
- التهذيب للنووي ٦.
- المقاصد الحسنة للسخاوي ٤ أ، ٦.
- النهاية في غريب الحديث والأثر للمبارك ابن الأثير ٤١.
- المعجزات، لسيد السادات، لعمر بن الوردى ٣٠.
- النجم الثاقب، في أشرف المناقب، لحسن بن حبيب الحلبي ٢٨.
- سيرة ابن إسحاق ٦ ب، ١٨.

### كُتُبُ الآداب والأخلاق الدينية:

- أدب الدنيا والدين للماوردي ٨.
- الرعاية لحقوق الله للمحاسبي ٩ أ، ١٢ ب.
- كتاب مفيد العلوم، ومبید الهموم، للخوارزمي ٢ ب، ١٦ أ - ب، ٢٥ ب، ٤٠ ب، ٤٩ ب، ٥٤ أ - ٥٨.

(١) نحيل بعد ذكر المصدر إلى الورقة أو الأوراق التي نقل فيها المؤلف عن مصدره ذاك.

▪ كتاب المواهب اللدنية للقسطلي ٣ ب، ١٧ ب، ١٩ ب، ٢١ أ، ٢٧ ب، ٣٨ ب، ٤٣ ب، ٥٢ أ، ٥٣ أ.

▪ درر أنباء، نجباء الأبناء، لابن ظفر المكي ٤٤.

#### كتب اللغة والأدب:

▪ صحاح اللغة لأبي نصر الجوهري ٤١.

▪ شعر أبي العتاهية ١٦.

▪ شرح لامية العجم للصالح الصفدي ٥١.

#### كتب التاريخ والتراجم:

▪ تاريخ المدينة للسخاوي ٥٠.

▪ تاريخ الخلفاء للسيوطي ٤٠ أ

▪ الإعلان بالتوبيخ، لمن ذم التاريخ، للسخاوي ٢.

▪ الدر الكمين للنجم بن فهد ٢٤.

▪ الضوء اللامع للسخاوي ٢٣ ب، ٢٥.

▪ طبقات النحاة للسيوطي ٢٣ أ، ٤٠.

▪ أسد الغابة، في معرفة الصحابة، للعز ابن الأثير ٢١ أ، ٤٠.

▪ تذكرة الحفاظ للذهبي ٢٢ ب

▪ طبقات القراء للذهبي ٢٢.

▪ نهاية التقريب للتقي بن فهد ٢٢.

▪ اللباب، في الأنساب، للعز ابن الأثير ٣.

▪ المختار، في مناقب الأخيار، للمبارك ابن الأثير ٤٦ ب، ٤٩.

▪ عمدة الناس، في مناقب العباس، للسخاوي ١٩.

- تحفة اللطائف، في فضل الحبر ابن عباس ووج والطائف، لجار الله بن فهد ١٩.
- مناقب الشافعي للبيهقي ٤ ب.

لقد حاول المؤلف في مقدمة الكتاب أن يبين منهجه في التعامل مع المصادر. فبعد أن عرض عناوين بعض مصادره التزم بأن يذكر مصادره ويعزو منقولاته منها فقال: وأعزو كلاً منها لقائلها كأسماء الرواة<sup>(١)</sup>. وعلى الرغم من أنه كان - في الغالب - دقيقاً في نقله من مصادره فقد حدثت له بعض التجاوزات في منهج اعتماد المصادر واستعمالها في نصه.

فنراه أحياناً يحيل إلى أسماء المؤلفين وينقل عنهم نصوصاً دون ذكر عنوان التأليف، مثل نقله عن معاصره ابن أبي شريف دون تحديد مصدره<sup>(٢)</sup>، كما ينقل عن شيخ شيوخه ابن حجر العسقلاني دون ذكر كتابه<sup>(٣)</sup>. وأحياناً يلجأ إلى العموميات التي لا تحديد فيها، مثل أن يقول: قال علماء التفسير والتاريخ وغيرهم<sup>(٤)</sup> أو يقول: قال الفقهاء والعلماء النبلاء<sup>(٥)</sup> أو قال بعض الأبناء<sup>(٦)</sup>.

ومن خلال مطالعات المؤلف عثر على عناوين كتب تتعلق بموضوع تأليفه فعرّفها وعرّف أصحابها وعرّف بالمصادر التي ذكرتها، إلا أنه لم يتمكن من الاطلاع عليها. وقد بين ذلك في مقدمة الكتاب قائلاً: وأما الغور والغُمش والعميان والحدبان فللعلامة الصلاح الصفدي فيها تصانيف، إلى غيرها من التأليف. وقد بلغني من أسمائها نكتُ الهميان، على نكتِ العميان، والشعور، بالغور. وللعلامة النحوي أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ كتاب العرجان والبرصان والقرعان<sup>(٧)</sup>. كما ذكره شيخنا الحافظ جلال الدين السيوطي في طبقات النحاة الأعيان، ولم أطلع عليها لكني رأيتُ الصلاح الصفدي ذكر نبذة منها في شرحه على لامية العجم، كما سيأتي وتعلم، مع غيرها<sup>(٨)</sup>.

(١) جار الله بن فهد: النكت الظراف ٣ أ.

(٢) نفس المصدر ١٢ ب.

(٣) نفس المصدر ٤ ب.

(٤) نفس المصدر ٧ أ.

(٥) نفس المصدر ١٢ ب.

(٦) نفس المصدر ١٥ ب.

(٧) نقل المؤلف عن السخاوي بتصرف واختصار. انظر: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ص ٨٤-٨٩.

(٨) جار الله بن فهد: النكت الظراف ٢ ب - ٣ أ.

## أسلوب المؤلف مع بعض المآخذ على المنهج:

ملاحظة أولى يمكن أن نلاحظها في أسلوب الكتاب وهي أن المؤلف سلك مسلك السجع في كامل كتابه وحرص على أن يكون سجعاً متكلفاً، فيه الكثير من الثقل وعدم التلقائية، ومن الغريب أن المؤلف لم يسر على هذا النمط في مؤلفاته الأخرى<sup>(١)</sup>. كما أن ذلك لم يحدث في مؤلفات والده العز ولا مؤلفات جدّيه نجم الدين وتقي الدين. فقد التزم في تأليفه هذا السجع من أوله إلى آخره.

ثم بالإضافة إلى ما كنتُ ذكرته أعلاه عن منهجه في التعامل مع المصادر والنقل منها واختيارها يمكن أن أضيف أنه قد يحدث له أحيانا أن ينقل نصوصاً ويورد أخباراً لا علاقة لها بموضوع كتابه ولا هي مناسبة للفقرة أو الفصل أو غير ذلك.

ففي الورقة ٣ ب يورد نصاً فيه ذكر خصائص اسم النبي صلى الله عليه وسلم دون أن يكون له مناسبة بحال.

وفي الورقة ٣٤ ب يورد قصة الأسود الغنسي وهي في غير محلّها لانعدام المناسبة أيضاً.

وفي الورقة ٣٩ أ يورد خبر خطبة زهير بن كعب ضمن قائمة البرّص دون أن تكون لذلك مناسبة واضحة.

(١) انظر مثلاً أسلوبه في كتابه نيل المنى.





## كلمة المحققة

خلال مطالعتي لترجمة جار الله بن فهد المكي في كتاب التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر لشيخه الأستاذ الدكتور محمد الحبيب الهيلة لفت نظري عنوان كتاب من مؤلفات جار الله منه نسخة وحيدة كُتبت بخط مؤلفها. ثم عدتُ إلى ترجمات كثيرة أخرى لجار الله بن فهد فلم أجد فيها للكتاب ذكرًا. واستهواني الموضوع الطريف لهذا الكتاب إذ حاول فيه صاحبه أن يجمع أخبار المشاهير ممن أصيبوا بعاهات جسدية في التاريخ السابق أو في عصر المؤلف وجعل عنوانه « النكت الظراف، في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف ». وأبديتُ رغبتني لشيخه أ. د. الهيلة ليسمح لي بالاطلاع على النسخة المصورة منه والتي كانت ضمن مجموعته الثرية من مصوراته للمخطوطات المتعلقة بتاريخ مكة المكرمة فأمدني بها مشكورًا. ثم أبديت له رغبتني في تحقيقها فشجّعني على ذلك لما في النص من فوائد تاريخية تكشف عن بعض جوانب الحياة الثقافية والاجتماعية لمكة المكرمة خلال القرن العاشر الذي عاش فيه المؤلف المكي.

انصرفت إلى تحقيق الكتاب رغم ما لاقيتُ من الصعوبات وما واجهتني من مشاكل في قراءة النص. فعلى الرغم من أن النسخة كُتبت بخط المؤلف جار الله بن فهد إلا أن قراءتها تستعصي بل وتصعب على القارئ والمحقق لما عُرف به خط الرجل من انعدام جمال وخلو من دقة وتداخل الحروف مع إهمال يكاد يكون كليًا للشكل والضبط وترك غالب النقط والإعجام، وهو ما يلاحظه قارئ هذا التحقيق عند اطلاعه على الصفحتين المصورتين منه والمعروضتين في نهاية هذه المقدمة القصيرة. ويضاف إلى الصعاب ما وُجد في المخطوط من نقص واضح لبعض ورقاته وما أصاب الأصل من ترهّل وترميم أودى ببعض أسطره وكلماته.

وعلى الرغم من ذلك فإنّي توكلت على الله وشرعت في قراءته وحل رموزه ثم تحقيقه لكي يستفيد منه الباحثون وينهلوا من مختلف المعلومات التي احتوى عليها.

وإنني لا أزال أعتقد أن الكتاب يحتاج إلى دراسة علمية توضح أهمية ما اشتمل عليه من أخبار العصر في مكة المكرمة وتكشف عن محتواه ومنهجه ومصادره، مع عناية خاصة بما أثير حول تأليف هذا الكتاب من خلاف ونقاش حاد بين المؤلف من ناحية وبين بعض علماء مكة ومثقفها من ناحية أخرى، مما جعل المؤلف يلجأ إلى تحكيم علماء من القاهرة ومن دمشق فإذا هم يعبرون عن آرائهم ومواقفهم من موضوع الكتاب.

كل هذه العوامل شجعتني على تحقيق الكتاب رغم صعوباته. والله هو المعين وهو ولي التوفيق.

### المقدمة في التعريف بالمؤلف وبالكتاب:

ارتبطت الكتابة التاريخية في مكة المكرمة بالحديث النبوي الشريف للمصطفى ﷺ وخاصة خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين حتى لا تكاد تجد مؤرخاً ليس بمحدث، كما قل أن تجد محدثاً غير مؤرخ.

وفي هذا المجتمع ظهرت شخصيات كثيرة من المحدثين المؤرخين منهم عائلة عُرِفَتْ بهاذين الاختصاصين، إنها عائلة مكية اجتمع فيها أربعة حُفَاف للحديث متوالية عصورهم وكل واحد من هؤلاء الأربعة يُعتبر من أكبر المؤرخين المكيين، أشير بهذا إلى عائلة (الفهود)<sup>(١)</sup> أي بني فهد.

أشهر من ظهر من بني فهد هؤلاء الحُفَاف الأربعة:

أولهم: تقي الدين محمد بن فهد (ت ٨٧١ هـ / ١٤٦٦ م) الذي ألف كتاب لحظ الألفاظ بذيل طبقات الحُفَاف، وكتاب نهاية التقريب وتكميل التهذيب بالتهذيب، وغيرهما.

ثانيهم: النجم عمر بن فهد (ت ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م) صاحب المعلمة الكبيرة التي عنوانها: إتحاف الوري، بأخبار أم القرى، وصاحب الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، وغيرهما من المؤلفات الكثيرة في علم الحديث.

ثالثهم: العز عبد العزيز بن فهد (ت ٩٢٢ هـ / ١٥١٦ م) الذي ذيل على كتاب والده

(١) كان أهل مكة يسمون هذه العائلة بعائلة الفهود.

بتأليفه: بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى، وألف كتابه: غاية المرام، بأخبار سلطنة البلد الحرام، مع مؤلفات حديثة أخرى كثيرة.

رابعهم: الحفيد جار الله محمد بن فهد (ت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) الذي أكمل على كتاب أبيه وجده في التاريخ المكي فوضع كتابه: نيل المنى، مع مؤلفات عديدة أخرى في الحديث وعلم التاريخ. وهو مؤلف هذا الكتاب الذي نحققه للقراء والباحثين، وعنوانه: النكت الظراف، في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف.

### عائلة بني فهد:

هي عائلة مكية شافعية المذهب مالت إلى الاختصاص في الحديث والتاريخ. قال عنها الكتاني في فهرس الفهارس «أبناء فهد في الرواة كثير، وهم بيت كبير بمكة.. وأنت إذا تأملت قل أن تجد في بيت في الإسلام أربعة من الحفاظ في سلسلة واحدة من بيت واحد يتوارثون الحفظ والإسناد غير هذا البيت العظيم»<sup>(١)</sup>.

وهم الأربعة الذين أشرنا إليهم سابقاً. ودلت الكثير من المصادر على أن لبيت بني فهد مكتبة عظيمة جمعت العديد من الكتب الأمهات، والكثير منها بخطوط بني فهد، واستفاد منها العديد من العلماء المكيين والواردين على مكة<sup>(٢)</sup>، كما عُرف العديد من علماء مكة ممن ينتسبون إلى هذه العائلة بداية من أول القرن الثامن إلى آخر القرن العاشر. وقد أحصى منهم واحد وعشرون عالماً من أصحاب المؤلفات والدروس والمحاضرات، إلا أن آخرهم عبد الرحمن ابن أخي المؤلف عبد القادر المتوفى سنة ٩٩٥هـ / ١٥٨٧م كان آخر من عُرف من علماء بني فهد مما جعل الكتاني يقول عنه: «ولعله آخر فقهاء ومسند بني فهد بركة فإنه انقطع ذكرهم من بعده في الفهارس والأثبات التي وقفت عليها»<sup>(٣)</sup> وهكذا تكون عائلة بني فهد عاشت طيلة ثلاثة قرون من المشاركة في الحياة العلمية بمكة سواء بالمؤلفات أو التعليم والتدريس والإجازات.

(١) الكتاني: فهرس الفهارس، ص ٩١٠-٩١٢.

(٢) الكتاني: المصدر السابق، ص ٧٣٤.

(٣) محمد الحبيب الهيلة: التاريخ والمؤرخون، ص ١٠٢-١٠٥.

**المؤلف: اسمه:**

هو جار الله محمد بن العز عبد العزيز بن النجم عمر بن التقي محمد بن فهد المكي الهاشمي، يكنى بأبي الفضل وبمحب الدين. ولد بمكة المكرمة في شهر رجب سنة ٨٩١ هـ / ١٤٨٦ م من أم مكية تُنسب إلى نفس العائلة، جدّها الأعلى هو التقي بن فهد، فهي إذن ابنة عم والده. نشأ جار الله في بيئة علمية فاهتم به والده وأحضره لدروس كبار الشيوخ كالحافظ شمس الدين السخاوي، كما أخصر على غيره من العلماء، بالإضافة إلى ما حمله من العلم عن والده. ثم بدأ رحلاته العلمية وهو لم يتجاوز ثلاثاً وعشرين سنة فسافر إلى القاهرة سنة ٩١٣ هـ / ١٥٠٧ م وسافر إلى اليمن سنة ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م ثم قام برحلة علمية كبيرة دخل فيها مصر ثم دمشق وذلك في سنة ٩٢١ هـ / ١٥١٥ م. وتوطدت علاقاته فيها بالكثير من العلماء. وقام برحلة أخرى إلى بلاد الروم (تركيا) في سنة ٩٢٨ هـ / ١٥٢٢ م وعاد إليها في رحلة ثانية سنة ٩٣٤ هـ / ١٥٢٧ م. وجمع من كل هذه الرحلات العلمية معارف هامة مع حضوره لدروس العدد الكبير من علماء مكة والواردين عليها أو المقيمين بها مما مكّنه من زاد كبير في العلوم ومكانة محترمة في المجتمع، وهو ما تدل عليه مؤلفاته. وظل يكتب ويؤلف إلى أن توفي بمكة في ١٥ جمادى الثانية سنة ٩٥٤ هـ / ١٥٤٧ م<sup>(١)</sup>.

**مؤلفاته:**

بلغ عدد مؤلفاته في التاريخ والحديث خمساً وثلاثين كتاباً بين صغير وكبير أهمّها - حسب ما يبدو - كتاب: تحفة الأيقاظ بتتمة ذيل طبقات الحفاظ، وكتاب: الجواهر الحسان في مناقب السلطان سليمان بن عثمان، وكتاب: حُسن القرى في أودية أم القرى، وكتاب: نيل المنى، بذيل بلوغ القرى، لتكملة إتحاف الورى الذي يعتبر من أهم آثاره التاريخية حيث أكمل به كتاب جده وذيل على والده وجمع فيه من أخبار مكة المكرمة السياسية والاجتماعية والحضارية طيلة خمس وعشرين سنة وسبعة أشهر مقدماً صورة واضحة عن التاريخ المكي مُياومة على نظام الحوليات<sup>(٢)</sup>.

(١) محمد الحبيب الهيلة: المرجع السابق، ص ١٩٥-٢١٣.

(٢) حققه الأستاذ الدكتور محمد الحبيب الهيلة وطبعته مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي.

## مصادر ترجمته:

لجار الله بن فهد ترجمات كتبت من معاصريه وممن جاء بعدهم:

فمن معاصريه: السخاوي في الضوء اللامع ٥٢/٢، ووالده العز بن فهد الذي ذكره مرات كثيرة في كتابه بلوغ القرى، وصديقه ابن طولون الشامي الذي تحدث عنه في كتابه مفاكهة الخلان مرات في الجزء الثاني من ص ٦ إلى ص ٦٣.

أما من جاء بعد عصر المؤلف فهم العيدروسي الذي ترجمه في النور السافر ١٣١/٢! وابن العماد في شذرات الذهب ٣٠١/٨، ومرداد في المختصر من نشر النور والزهر ص ١٥٢-١٥٣.

أما من المعاصرين فقد ترجمه الزركلي في الأعلام ٢٠٩/٦، وكحالة في معجم المؤلفين ١٧٥-١٧٦، كما كتب عنه د. ناصر الرشيد في مجلة العرب سنة ١٣٩٧ هـ. عدد ١١-١٢، ود. محمد الحبيب الهيلة في كتابه التاريخ والمؤرخون بمكة ص ١٩٥-٢١٣.

## الكتاب:

### عنوانه:

كتاب النكت الظراف، في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف:

### موضوعه:

هو كتاب جمع فيه المؤلف أخبارَ مَنْ أصيب بعاهة جسدية واشتهر بها.

أراد منه المؤلف أن يجمع أخبار المشهورين ممن أصيب بعاهة من العاهات سواء من أهل الدين أو أهل السياسة أو أهل العلم، خاصة ممن اشتهروا في ميادينهم ومجالاتهم. وكان قصد المؤلف كما يقول في المقدمة وضمن نصوص الكتاب أن يجعل من ذكرهم موعظة وتسلية لمن أصيب بمثلها حتى يقوّي صبره على تحمل بليته. فذكر منهم بعض الأنبياء، وبعض الصحابة، والكثير من أهل السلطة بالغاً إلى ذكر العديد من العلماء المشهورين سواء ممن تقدم عصره أو تأخر فكان معاصراً له.

وهكذا نجد الكتاب قد احتوى على مجموعة هامة من الأخبار التاريخية تُكْمَل جوانب من تراجم المذكورين فيه. إلا أن المؤلف جاز الله بن فهد اشتهر بعلم الحديث كما اشتهر بالمؤلفات التاريخية الكثيرة، لذلك نجده في كتابه هذا يجمع بين نصوص الاختصاصين. خاصة وأنه في سبيل غايته التربوية كان لابد له من أن يلجأ إلى نصوص الحديث النبوي التي تتناول موضوع الصبر، ومواجهة البلاء، والتغلب عليه بالإحساس الديني وبما وعد الله الصابرين، وبما أكد رسول الله ﷺ من أحاديث أوردها متعددة اشتملت عليها كتب السنن وكتب السيرة النبوية الشريفة.

إلا أن ظهور هذا الكتاب أثار نقداً وضجة بين بعض علماء مكة المكرمة في عصره فانتقدوا وأتهموا صاحبه بالغيبة. وبلغ الأمر بالمعارضين إلى أن بلّوا الكتاب بالماء لتذهب معالمه، وأرادوا تمزيقه. وفي ظروف غير واضحة وقع إتلاف النسخة الأولى من الكتاب، وقع ذلك في سنة ٩٤٨ هـ / ١٥٤١ م. إلا أن المؤلف أعاد كتابته في نسخ متعددة فكانت نسخته الأخيرة هي التي بين أيدينا وكانت قد صدرت في سنة ٩٥٠ هـ / ١٥٤٣ م وفيها ذكر بعض ما وقع لهذا التأليف من معارضة وموافقة سواء من علماء مكين أو مصريين أو شاميين.

كل ذلك دلت عليه بتفصيل نسخة الكتاب التي بين أيدينا، والتي هي بخط المؤلف المعروف لدى الباحثين.

وقد اشتمل الكتاب على الكثير من النقول عن المؤرخين القدماء سواء من كتب السيرة، أو كتب التراجم، أو كتب التربية الدينية والموعظة والإرشاد، بالإضافة إلى ما أورده من أخبار معاصريه. وقسمه إلى مقدمة وبابين وخاتمة.

اشتملت المقدمة على: الأحاديث والأخبار الواردة في ذوي العاهات، واشتمل الباب الأول: على ذكر ذوي العاهات مجملًا وبيان الأشراف منهم مفصلاً. واحتوى الباب الثاني: على أخبار ما حدث لهم من العاهات كالعمى والعور والصلع والعرج، وغير ذلك. أما الخاتمة فقد أورد فيها النصوص المتعلقة بما يحصل للإنسان من الأجر والثواب مقابل مُصَابِهِ وَعَاهَتِهِ.

## المخطوط:

رغم ما بذلناه من جهد في البحث عن نُسَخ الكتاب فإننا لم نعثر إلا على نسخة واحدة كُتبت بخط المؤلف وحُفظت في مكتبة شستربيتي بإنجلترا ضمن مجموع تحت رقم ٣٨٣٨.

يقع المخطوط في ٥٩ ورقة، عدد أسطرها بين ١٨ و ٢٠ سطراً في صفحة الورقة، أصيب بنقص في ما بين ورقة - ٢٠ ب و ٢١ أ - ونقص آخر في ما بين ورقة - ٢٦ ب و ٢٧ أ - مع بياض في الورقة ٥٣ ب حيث لم يُكتب فيها سوى سطرين، يبدو أن المؤلف تركها بيبضاء لإكمالها بأحاديث مناسبة وذلك قبل الخاتمة، مع بياض جزئي ومتقطع في الورقة ١٠ أ - ب بسبب ترميمها الرديء.

وقد وضع المؤلف إضافات في حواشي النص وذلك في الورقة ١٨ ب، وفي الورقة ٢٣ ب و ٢٤ أ (وهي إضافات بعضها بخطه وهي مقروءة وأغلبها بخط غيره إلا أنها مقطوعة أوائل السطور مما جعلنا لا نقدر على تحقيقها ضمن النص).

وقد حرصتُ على تحقيق هذا المخطوط لما فيه من فائدة تاريخية تعم جوانب من تاريخ الإسلام وجوانب من التاريخ الثقافي لمكة المكرمة إذ هو يكشف عن خصائص بعض رجالات مكة، ويعطي صورة من صور الحياة الثقافية الاجتماعية والعلاقات بين العلماء والمتفقيين فيها، بما في ذلك من نقد ونقاش واختلاف آراء.

فعملتُ على مقابلة نصوص الكتاب من المصادر التي اعتمدها ونقل عنها قدر الاستطاعة، فإنها كشفت لي عما كان غامضاً في المخطوط. خاصة وأن خط المؤلف جار الله بن فهد لم يكن جميلاً ولا مضبوطاً بالنقطة والحركات وإنما اشتهر بعدم الجمال، وعدم الدقة في كتابة الحروف والكلمات مما أثقل كاهلي. ووجدتُ فيه صعوبات لا يمكن أن يعرف مداها إلا المطلع على صور بعض ورقاته التي نعرضها في الصفحات الموالية.

فها أنا أقدم هذا الكتاب محققاً بإعانة من الله وفضله وتوجيه وإرشاد من أستاذي الفاضل ومقام والدي الكريم سعادة أ. د/ محمد الحبيب الهيلة حفظه الله وجزاه عني خير الجزاء، راجية من الله أن يجد الباحثون في عملي هذا مادة مفيدة في مجال التاريخ المكي خدمة لمسقط رأسي مكة البلد الحرام، آملة من الله الثواب والتوفيق.



إن ما تقدّم من تعريف بالمؤلف والكتاب وُضع كمقدمة للتحقيق، وإنّي اعتقد أن دراسة مفصلة للكتاب وتعريفاً أوسع بالمؤلف وظروف تأليفه له يستحقان عناية أكثر وتتبعاً أوسع وهو ما أنوي القيام به إن شاء الله.

## كتاب النُّكْتِ الظُّرَافِ،

### في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف

#### تأليف جار الله بن فهد المكي

[١-ب] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

يقول كاتبه الفقير الحقير، المعترف بالتقصير، الراجي عفو ربه القدير، حافظ حديث نبيه المصطفى البشير، المسمى باسمه الأجد محمد، المدعو جار الله بن عبد العزيز بن عمر بن تقي الدين محمد بن نجم الدين محمد بن أبي الخير محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن فهد الهاشمي المكي الشافعي، لطف الله به والمسلمين.

الحمد لله البرّ الجواد، الذي خلق الخلق كما أراد، ومنّ على عباده الأجواد، بصحة الأبدان الجياد، وابتلى من أحبّ من خلقه العباد بمرض الأجساد، وتحمل ذلك من اختاره من العباد، ليحصل له اللطف والإسعاد. أحمده وأشكره على جزيل نعمائه، وأعوذ به من سائر مَحَنِهِ وابتلائه. وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار، الكريم الغفار. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار، المحذّر من بعض ذوي العاهات، في عدة من الروايات، والمتعوّذ ومن دعائه أن يقول (اللهم إني أعوذ بك من الصم والبكم والجذام وسيء الأسقام) والفائل [٢-أ] (لا خير في بدن لا يمرض ولا في مال لا يصاب). صلى الله وسلم عليه، وزاده فضلاً وشرفاً لديه، ورضي الله عن آله وأصحابه السادة الأشراف، وكل التابعين لهم بإحسان من العلماء الظراف، وسلم تسليماً كثيراً يحصل به الإسعاف.

وبعد، فهذا تأليف لطيف محتوٍ على معان ظراف، في ما ابتلي به بعض الأشراف، وشاركهم فيه جماعة من العلماء الأعيان لإتفاذ حكم الله في عبادته، وإبلاغ كل منهم لقصده ومراده.

سببه<sup>(١)</sup> أنني اجتمعت ببعض الأعيان، وأحد فضلاء الزمان، وذكرنا الماضيين من العميان والعوران والقرحان والصلعان، ممن حصل له ذلك من الأعيان، فتشوّقت نفسي لجمعه خصوصاً ورأيت بعض علماء الحنفية ذكره في وضعه. فلا يظن بذلك الظانون، ما يعتقدّه الجاهلون، من ذوي العقول السخاف، بأنه ثلّب للأشراف، وذلك منهم غيبة وإلباس، ووقية في أكابر الناس، بل والله العظيم قصدت بتأليفه الإيقاظ، وتسليّة من ابتلي به والاعتّاظ، لمن حصل له الابتلاء من الأكابر، في الزمن الغابر. واقتديتُ في فعل ذلك بمن سبقتني من العلماء لهذا [٢-ب] الطريق السالك. منهم العلامة فقيه بغداد، أحد الأكابر الزهاد، المجدّد الدين لهذه الأمة على رأس المائة الرابعة أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي الحنفي رحمه الله تعالى، وعاملني وإياه بلطفه الخفي، لأنّه ذكره في ثلاثة أبواب من تأليفه مفيد العلوم، ومبيد الهموم، كما سيأتي ذكره هنا وهو معلوم<sup>(٢)</sup>.

بل قصدتُ شيخنا حافظ السنة المؤرّخ العمدة شمس الدين أبا الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي نزيل الحرمين الشريفين ذكر في مؤلفه الإعلان والتوبيخ، لمن ذمّ التواريخ، أنّ التصانيف في التاريخ فكثيرة جداً لا تدخل تحت الحصر. ثم عدّد منهم<sup>(٣)</sup> أنواعاً في أرباب العلوم والصفات والعقائد والصناعات ألّفها جماعة من العلماء الثقات، في عدّة من الطبقات، للماضين والمتأخرين كالأذكياء والمغفلين والمبتدعة والشيعة والبخلاء، والحيّل والمكايد للعقلاء، [.....]<sup>(٤)</sup> وأما العُور والعُفّش والعميان والحدبان فللعلامة الصلاح الصفدي فيها تصانيف، إلى غيرها من التآليف. وقد بلغني من أسمائها نكّتُ الهميان، على نكّتِ العميان، والشعور، بالعُور. وللعلامة النحوي أبي عثمان عمرو بن [٣-أ] بحر الجاحظ كتاب العرجان والبرصان والقرعان<sup>(٥)</sup>. كما ذكره

(١) في حاشية الورقة من الجهة اليسرى هامش بخط المؤلف نصه: قصدت ببعض الأعيان خطيب المسجد الحرام الإمام ... أبي اليمن الطبري وأحد فضلاء الزمان المحبي محمد شيخنا أبو .... المكي الشافعيان أدام الله النفع بهما في كل زمان.

(٢) هامش طويل بعضه بخط المؤلف وأغلبه بخط غيره. وتستمر الحاشية دائرة بكامل الورقة ٢ ب وواصلت إلى الورقة ٣ أ - وقد حدث سوء في التصوير وانقطاع كثير من كلماته بحيث تحذف أحياناً كلمة وتذكر كلمتان وهكذا دواليك، وبسبب ذلك تركنا نقلها .

(٣) كذا بالأصل والصواب: منها .

(٤) كلمتان مححوتان بالأصل .

(٥) نقل المؤلف عن السخاوي بتصرف واختصار. انظر: الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ، ص ٨٤-٨٩.

شيخنا الحافظ جلال الدين السيوطي في طبقات النحاة الأعيان، ولم أطلع عليها لكني رأيت الصلاح الصفدي ذكر نبذة منها في شرحه على لامية العجم، كما سيأتي وتعلم، مع غيرها. وأعزو كلاً منها لقائلها كأسماء الرواة المذكورين في كتاب اللباب في الأنساب للإمام عز الدين علي بن محمد بن الجزري الشهير بابن الأثير الشافعي - رحمه الله تعالى -.

ولذلك رتب مؤلفي هذا على مقدمة وبابين وخاتمة. وجعلت في آخر كلّ منهم<sup>(١)</sup> تنمة، هي للقصد مهمة.

فالمقدمة في الأحاديث والأخبار الواردة في ذوي العاهات مع نظم الأشعار.

والباب الأول في ذكر ذوي العاهات مجملاً، وبيان الأشراف منهم مفصلاً.

والباب الثاني في الحادث لهم من المرض كالعمى والعور والصّلغ والعرج وغير ذلك من المرض.

والخاتمة في الوارد للإنسان من المصاب وما يحصل له من الأجر والثواب.

وسميته [النكت الظراف، في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف]<sup>(٢)</sup> وأسأل من الله تعالى العفو والعافية، والمعافة الدائمة، [٣-ب] في الدين والدنيا والآخرة، وأن يلهمني فيه السداد، والموعظة به ليوم التناد، إنه بالآمال كفيل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

فأقول وبالله المستعان، وعليه التكلان:

مقدمة في الأحاديث والأخبار الواردة في ذوي العاهات مع نظم الأشعار.

نقل شيخنا العلامة المذكّر بالله تعالى شهاب الدين أحمد القسطلاني الشافعي - رحمه الله تعالى - في كتابه المواهب اللدنية، بالمنح المحمدية، أن في اسم نبينا محمد ﷺ خصائص منها كونه على أربعة أحرف لتوافق اسم الله تعالى باسم محمد فإن عدد الجلالة أربعة أحرف كمحمد، ومنها قيل إن مما أكرم به آدمي أن كانت صورته على

(١) كذا بالأصل - و الأصح منها.

(٢) ورد العنوان محووا من الصورة لأنه كتب في الأصل بلون غير أسود فلم يظهر في التصوير. واعتمدنا في نصه على ما ورد في ورقة العنوان المكتوبة بخط المؤلف.

شكل كتابة هذا اللفظ، فالميم الأولى رأسه والحاء جناحه والميم الثانية سُرته والذال رجلاه. قيل: ولا يدخل النار من يستحق دخولها - أعاذنا الله منها - إلا ممسوخ الصورة إكراماً لصورة اللفظ.

حكماهما ابن مرزوق. والأول ابن العماد في كتابه كشف الأسرار. انتهى.

وأما المشفح من أسمائه ﷺ فهو بضم الميم وبالشين المعجمة وبالقاء المشددة المفتوحتين ثم حاء مهملة، وقيل: بالقاف بدل القاء ففي البشارة به [٤-أ] ﷺ لفتح العيون العور والآذان الصم وإحياء القلوب الغلف وما أُعطيهِ لا يُعطى أحداً. ومشقح: يحمد الله حمداً جديداً، وهو بالسريانية: الحمد. انتهى<sup>(١)</sup>.

ووجدت شيخنا خاتمة الحفاظ الشمسي أبا الخير السخاوي - رحمه الله تعالى - ذكر في مؤلفه المقاصد الحسنة، مما اشتهر على الألسنة، أحاديث في التحذير من بعض ذوي العاهات مع عدة أخبار مرويات منها حديث «اتقوا ذوي العاهات» قال: لم أقف عليه، ولكن سيأتي من كلام الشافعي في حديث «إياك والأشقر الأزرق» كما سأذكره هنا.

ورويانا من طريق إسماعيل بن إسحاق بسنده عن الأعرج عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى ولا هامة ولا صفر، واتقوا المجذوم كما يتقى الأسد». ثم تكلم شيخنا السخاوي على إسناده وقال: إن الخطيب - يعني البغدادي - أشار إلى تخطئته. والمعنى: «فرّ من المجذوم فرارك من الأسد» كما ورد في بعض ألفاظ الحديث. وهو متفق عليه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً بمعناه، فيمكن أن يكون المعنى باتقاء ذوي العاهات الفرار منها خوفاً من العدوى لا كما يتوهمه البعض. [٤-ب] ثم إن هذا في حق ضعيف اليقين وإلا فقد ورد «لا بُعدي شيء شيناً ولا عدوى» ونحو ذلك كما تقرر في محله، انتهى.

ولقد أحسن شيخ شيوخنا الحافظ قاضي القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن حجر الكناني الشافعي - رحمه الله - حيث جمع بين الحديثين بقوله: إن نفي العدوى باقٍ على عمومها، والأمر بالفرار من سدّ الذرائع كما بينه مطولاً في سؤال على الحديثين المذكورين قبل الآن، وبالله المستعان.

(١) القسطلاني: المواهب اللدنية، ٢٥/٢.

وأما حديث «إياك والأشقر الأزرق» فإنه من تحت قرنيه إلى قدمه مكر وخديعة وغدر. وقال شيخنا السخاوي عقبة<sup>(١)</sup>. ذكره الديلمي عن ابن عمر مرفوعاً ولم يُسنده ولده يعني في مختصر مسند الفردوس لأبيه، ويشير إلى ذم الأزرق الأشقر. بل في مناقب الشافعي للبيهقي<sup>(٢)</sup> أنه - رحمه الله - أمر صاحبه الربيع بن سليمان يوماً أن يشتري له عباً أبيض، قال: فاشتريت له منه بدرهم، فلما استجاده وقال: يا أبا محمد ممن اشتريت هذا؟ فسَمِيتُ له البائع فتخلّى الطبق من بين يديه وقال لي: أردّده عليّ له واشتر لي من غيره، فقلت له: وما شأنه؟ فقال له: ألمْ أنْهَكَ أن تصحب أشقر أزرق [٥-أ] فإنه لا ينجب، وكيف آكل من شيء يُشترى لي ممن أنهى عن صحبتِه.

قال الربيع: فرددته واعتذرتُ إليه واشتريت له عباً من غيره.

قال الربيع: ووجّه الشافعي رجلاً ليشتري له عباً، فلما جاءه قال: اشتريته من أشقر كوسج؟ فقال: نعم، قال: عُدْ فردّه عليه. زاد حرمة عن الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فما جاعني خير فط من أشقر.

وعن حرمة أيضاً سمعت الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: احذر الأعور والأحول والأعرج والأحبد والأشقر والكوسج وكل من به عاهة في بدنه، وكل ناقص الخلق، فاحذره فإنه صاحب التواء ومعاملته عسيرة. وقال مرة أخرى: فإنهم أصحاب خبث. قال ابن أبي حاتم: هذا إذا كان ولادهم كذلك، فأما من حدث له هذه العلة وكان في الأصل صحيح التركيب فلا تضرّ مخالطته.

وعن الحميدي قال: قال الشافعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: خرجتُ إلى اليمن في طلب كُتُبٍ للفراسة حتى كتبتُها فجمعتها. ثم لما كان انصرافي مررت في طريقي برجل وهو مُحْتَبِي بفناء داره أزرق العينين [٥-ب] نامي الجبهة سناط - أي لا شعر في لحيته - فقلت له: هل من منزل؟ قال: نعم، قال الشافعي: وهذا النعت أخبث ما يكون في الفراسة، فأنزلني فرأيتُه أكرم رجلٍ، بعث إليّ بعشاء وطيب وعلف لدابتي وفراش ولحاف، قال: فجعلت أتقلب الليل أجمع ما أصنع بهذه الكتب - يعني التي في الفراسة - فلما أصبحتُ قلت للغلام: أسرِج الدابة فأسرِج فركبتُ ومررتُ عليه وقلت له: إذا قدمت مكة ومررتُ بذِي

(١) السخاوي: المقاصد الحسنة، في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، ص ١٨.

(٢) البيهقي: مناقب الشافعي.

طوى فاسأل عن منزل محمد بن إدريس الشافعي، فقال لي: أمولى كنت أنا لأبيك؟ فقلت: لا، قال: فهل كانت لك عذ دي نعمة؟ فقلت: لا، قال: فأين ما تكلفت لك البارحة؟ فقلت له: وما هو؟ قال اشتريت لك طعاماً بدرهمين، وكراء الفراش واللحاف درهمان قال: فقلت يا غلام، أعطه ما قال، ثم قلت له: فهل بقي من شيء؟ قال: نعم كراء المنزل فأني وسّعت عليك وضيقت على نفسي بتلك الكتب. فقلت له بعد ذلك: هل بقي شيء؟ قال: امض جزاك الله، فما رأيت قط شراً منك. انتهى.

ويقال إن الإمام الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [٦-أ] زال ما عنده من الكرب في ما حصل من فعله وترداده في تحقيق فراسته التي كتبها في ذم الخصال التي هو مشتمل عليها. وأنه نظم هذه الأبيات في معنى الخصال المذمومات ممن وجد في وصفه منها، وحذر من مخالطة أصحابها فقال.

تَوَقَّ رَعَاكَ اللَّهُ تَسَعُّماً مِنْ الْبَشَرِ . فَصَحْبَتُهُمْ تُفْضِي إِلَى الْبُؤْسِ وَالضَّرَرِ  
وَهُ . مَأْخُذٌ وَلَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ أَهْوَرُ . كَذَا كُوسٌ حَجٌّ ..... (١) حَوْلَ الْكَدَرِ  
وَإِيَّاكَ ذَا الْأَدِّ . فَالطَّوِيلُ وَأَشَدُّ رَا . فَإِنَّهُمْ أَمْهٌ . . لِي الْخِيَانَةُ وَالْخَطَرُ  
كَذَا غَائِرُ الْعَيْنِينَ نَامَ . يَجِبُهُ لَ . كَذَا أَزْرَقُ الْعَيْنِينَ فَالِدَ . ذَرِ الْحَذَرِ

لكن رويناه في الزهد من جامع الترمذي من حديث عاصم بن بهدلة عن مصعب عن سعد عن أبيه قال: قلت «يا رسول الله أي الناس أشدّ بلاء؟ قال: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صلباً اشتدّ بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه. فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة». وكذا هو عند النسائي في السنن الكبرى وابن ماجه في سننه والدارمي في الرقاق من مسنده وأخرجه أحمد بن حنبل وابن منيع وأبو يعلى وابن أبي عمير في مسانيدهم كلهم من حديث عاصم وهو عند مالك في الموطأ وآخرين، وقال الترمذي: إنه حسن صحيح.

[٦-ب] وصححه ابن حبان والحاكم وأخرجه أيضاً من حديث العلاء بن المسيب عن مصعب والطبراني من حديث فاطمة مرفوعاً بلفظ «أشدّ الناس بلاء الأنبياء ثم

(١) كلمتان غير مقروعتين في البيت .

الصالحون» الحديث. وأورده الغزالي بلفظ «البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل» انتهى ملخصاً من كلام شيخنا الحافظ السخاوي - رحمه الله تعالى - في مقاصده الحسنة، والله الحمد والمنة.

ونقل جماعة من المفسرين والحفاظ المعبرين أن جماعة من الأنبياء والعطاء الأتقياء امتحنهم الله تعالى بالمرض، وسلط عليهم قومهم بالأذى والغرض، مما لا أطول بذكرهم وأقتصر منه على أشهرهم وهو المبتلى الصابر نبي الله أيوب، الذي جُبلت على محبته القلوب، وقال ابن إسحاق: إنه ابن أموص بن رفح بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ وقيل: كان رجلاً من الروم وأبوه ممن آمن بإبراهيم يوم أُلقي في النار فبلغ من الخير ما يدوم، والصحيح في نسبه القول الأول، وخلافه ليس عليه مقول.

وقال الإمام النووي في تهذيب: قال الله تعالى ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾ [٧-أ] إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿إِلَى قَوْلِهِ﴾ ﴿نَعَمْ أَلَمَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ <sup>(١)</sup> وقوله تعالى ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ <sup>(٢)</sup> الآية والتي بعدها. وفي صحيح البخاري حديث غسله عرياناً فخر عليه رجل حداد من ذهب فحنا منه في ثوبه وقال: لا غنى لي عن بركتك يارب. وكان ببلاد حوران وقبره بقرب نوى يُزار به الآن.

وقال علماء التفسير والتاريخ وغيرهم: كان رجلاً كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه من الأنعام والعبيد والمواشي والأراضي المتسعة بأرض البلنية من حوران وكان له أولاد وأهلون كثيرون فسلب من ذلك جميعه وابتلي في جسده بأنواع من البلاء ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه فذكر الله تعالى بهما. وهو في ذلك كله صابر محتسب ذاكر الله تعالى في ليله ونهاره وصباحه ومساءه، وطال مرضه سبع سنين حتى عافه الجليس، واستوحش منه الأئيس، ولم يبق أحد د يحنو عليه سوى زوجته لقديم إحسانه وشفقته عليها مع ضعف حالها، وقلة مالها، حتى كانت تخدم الناس بالأجرة [٧-ب] فتطعمه وتقوم بأوده رَحِمَ اللَّهُ عَنْهَا وهي صابرة معه على ما حلّ بهما من فراق المال والولد والمصيبة بالزوج قصير ذات اليد وخدمة الناس بعد السعادة والنعمة.

(١) القرآن: سورة ص، آية: ٤١-٤٤.

(٢) القرآن: سورة الأنبياء، آية: ٨٣.



وقد ذكر قصته بالتطويل وهب بن منبه وغيره من علماء بني إسرائيل ونقلها الإمام الثعالبي في نفائس العرائس مع أوصافه النفائس وقال ما ملخصه: كان رجلاً طوالاً عظيم الرأس جعد الشعر حسن العينين، قصير العنق غليظ الساقين والساعدين، مكتوب على جبهته المبتلى الصابر لأن الله تعالى نبأه وسلط عليه الرزق والدنيا فكانت له البلىنية<sup>(١)</sup> من أرض الشام كلها سهلها وجبلها وبرها وبحرها، وكان له فيها من أصناف المال من الإبل والبقر والغنم ما [ليس]<sup>(٢)</sup> لأحد مثله ولا أفضل منه في الكثرة والقدرة، وكان له بها خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد ولكل عبد امرأة وولد. وكان له أهل وولد رجال ونساء وكل منهم برٌّ رحيم يُعنى بالمساكين ويكفل الأيتام والأرامل ويرحم الضعفاء ويبلغ أبناء السبيل، وكان شاكراً لأنعم الله - عز وجل - مؤدياً لحقوق الله تعالى [٨-أ] قد امتنع من إبليس أن ينال منه ما نال من أهل الغنى من العزة والغفلة والتشاغل والسهو عن أمر الله - عز وجل - لما هو فيه من الدنيا، ومع هذا حصل له الابتلاء، بأنواع من البلاء، كما ثبت في الصحيح «أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأئمة فالأئمة» الحديث، ولم يزد هذا كله أيوب عليه السلام إلا صبراً واحتساباً وحمداً وشكراً لله تعالى، حتى أن المثل ليضرب ببلائه وكذا بصبره بقول من الله غفر الله زلته.

وأعجب من هذا كله أن كل من يُسمى باسمه بلاء الله تعالى بضربه. وقد شاهدت شيخنا العلامة النحوي زين الدين أيوب الأزهرى ثم المكي الشافعي - رحمه الله تعالى - وأدام النفع به ابتلي مراراً بالمرض، وحصل له القرح في رجله مع بعض الغرض، فشكى عليّ بعض أحواله فقلت له: ذُق بلاء أيوب، واصبر كصبره المطلوب. فانبسط لذلك وقال لي: عرفت مرضي وما جنى عليّ في التسمية به إلا والدي، فرحمة الله عليه، وأسدى كل خير لديه. ووجدت تأييد ضربه ممن محن باسمه أو الكنية به ما ذكره الإمام، أبو الحسن الماوردي في الشافعي - رحمه الله تعالى - في كتابه أدب الدين والدنيا قال: [٨-ب] أخبرني بعض أهل الأدب أن أبا أيوب الكاتب حبس في السجن خمسة عشر سنة حتى ضاقت حيلته وقلّ صبره فكتب إلى بعض إخوانه يشكو طول حبسه وقلّة صبره فرد عليه جواب رقيقته:

(١) لعلها مدينة بالشام.

(٢) إضافة تتطلبها صياغة الجملة.

صَبْرًا أَب . أ أي وب صَبْر مَبْرَح  
 إن ال ذي عَق . د ال ذي عَقَدَت له  
 صَبْرًا ف بِن الصبر يُعَق ب راحَة  
 فإذا عَجَزَتَ عن الخطوب فمن لها؟  
 عَق د المكاره في . ك يَمَلُك حَلَّه أ  
 ولَعَلَّه . . أ أن تَنَجَّد . ي ولَعَلَّه أ  
 فأجابه أبو أيوب رحمه الله:

صَبَرْتُ ي ووعظت ي وأد أ ل ه أ  
 ويَحَلَّه أ م ن كان صاحب عقدها  
 وس تَنَجَّد ي ب . ل لا أَقُول لَعَلَّها  
 كرم . أ ب ه إذ ك ان يَمَلُك حَلَّها  
 فلم يلبث بعدها إلا أياماً ثم أُطْلِق مكرماً. انتهى<sup>(١)</sup>.

ورويانا في بعض الأثر، عن سيد البشر، ﷺ قوله: «لِيُودُنَّ أَهْلَ الْعَافِيَةِ أَنْ جُلُودَهُمْ تُقَرَّضَ بِالْمَقَارِيضِ فِي دَارِ الدُّنْيَا لِمَا يَرُونَ مِنْ ثَوَابِ أَهْلِ الْبَلَاءِ» وقد نظم معناه بعض أصحابنا الفضلاء والعلماء النبلاء فقال.

أ ه . . ل الب . لاء ل ه م  
 ي وُدُّ م ن صَحَّ جَسَدُ مَا  
 ف ي ي و م المعاد ثواب<sup>(٢)</sup>  
 ل . و أن يَكُون يُصَدَّبُ  
 ل . ه السَّ ن ان ط لَاب  
 و ك ان ف . ي دار دنيا أ

[٩-أ] وقال أيضاً في نظم حديث قدسي «لَأُبْتَلَيْنَّ وَلَبِّي كَمَا ابْتَلِيَ الذَّهَبُ بِالنَّارِ» هو:

لَوْ وَعَدَ اللهُ الْمُحْبِبِينَ بِالْبَلَاءِ كَمَا يَبْتَلِي بِالنَّارِ فِي سَبْكِهِ الذَّهَبَ

وقال أيضاً فيه:

ب لاء الأولي . أ بغير ش . ك بلاء النصر<sup>(٢)</sup> بالجمر الضروم

وقال أيضاً في حديث: «لَأُضْرِبَنَّ الْوَلِيَّ الْمُقْتَدِيَّ بِالْبَلَاءِ حَتَّى أَنْقِيَهُ مِنَ الدَّرَنِ» هو:

لَأُضْرِبَنَّ الْوَلِيَّ الْمُقْتَدِيَّ بِبِلَا ظَهَرَ أ لِبْطَنٍ وَبَطْنًا قَامَ بِالْمَحْنِ  
 شَهْرًا وَدَهْرًا دَوَامًا سَرْمَدًا حَتَّى أَنْقِيَهُ صُفْرًا مِنَ الْكُدْرِ

(١) الماوردي (أبو الحسن علي): كتاب أدب الدنيا والدين، ص ٢٩٩.

(٢) كذا بالأصل والمعنى به لا يستقيم، ولعل صوابها: الصفر.

وسياأتي في الخاتمة زيادة في الموعظة، وأسأل من الله تعالى العفو والعافية، والمعافاة الدائمة، في الدين والدنيا والآخرة.

تتممة غريبة، في الرد على مَنْ زعم أن هذا المؤلف غيبية، والحال أنه لم يُردَّ به لأحد نقيضه، بل التسلية والموعظة الخصیصة، وذلك أن العلماء الأتقياء، الذين هم ورثة الأنبياء، نبهونا في عدة مؤلفات، جعلها الله لمنْ بَصَره بها منجيات، منهم الإمام المحاسبي وحجة الإسلام الغزالي وغيرهما من الفقهاء والعلماء الشرفاء فقال أولهما ما ملخصه<sup>(١)</sup>: عن الحسن يعني البصري - رحمه الله - : [٩-ب] الغيبة على ثلاث وجوه كلها في كتاب الله تعالى. فسمی الغيبة والإفك والبهتان. فالغيبة أن تقول في أخيك ما فيه، والإفك أن تقول فيه ما بلغك، والبهتان أن تقول فيه ما ليس فيه. ثم ذكر الإمام المحاسبي حديث الرجل الذي لا يفعل شيئاً إلا بما أمر به فقال ﷺ: «لقد أكلتم لحماً. فأعادوا له قولهم فيه قال: كلما فصل أحدكم على أخيه بمنزله يعني أن يأتيه في دينه. قيل: فممن تكون الغيبة؟ قال: في البدن والعرض والفعل. والقول في الدين أمثل من ذكرك إياه بالنقص في خلقه بغير عُذر» ثم بيّنها مفصلة وقال في جملتها آثاراً تدل على أنها غيبة. وجملة ذلك «إن كان في أخيك ما تقول فقد اغتبت» فهذا يأتي على كل معنى يغض في البدن أو غيره.

ثم ذكر المحاسبي عدة أقوال في المعنى حتى الإيماء والإشارة والتعريض واستدل لها بأشياء لا بأس بها، منها قد كان ﷺ يقول: «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا» والعلماء أيضاً مجتمعة على أن ذلك ليس بغيبة.

[١٠-أ] وعن إبراهيم النخعي قال: لا تكون غيبة حتى يُسمي صاحبها. ثم قال المحاسبي بعدها: فهل تكون الغيبة إلا من الفائل. قال: قد تكون من القائل والمستمع إذا رضي وأصغى إليه وأظهر الرضى أو شاركه بالقول أو التحريض، إلى غير هذا من الأقوال في الرضى لسماعه والمداهنة في عدم إنكاره وتركه لأمره ونهيه.

واختلف العلماء في استحلال صاحبها فقالت فرقة: ليس فيه استحلال.....<sup>(٢)</sup>

(١) رجعنا إلى كتاب الرعاية لحقوق الله لأبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي فلم نعثر على النصوص التي نقلها المؤلف في ما يلي. ولعلها نقول من كتب أخرى له.

(٢) في الورقة ١٠ أ من المخطوط أنقص كثيرة في النص وذلك عائد إلى قطع وترميم فيها مما جعلنا نلجأ إلى وضع نقاط في أماكن الكلمات المنقوصة.

بينه وبين الله تعالى واحتجت بأنه ..... قاله ولا أصاب من بدنه ما ينقصه .....  
فرقة أخرى هي مظلمة وكفارتها ..... بأخيه الذي اغتابه.

وقالت فرقة ..... الاستحلال منها، واحتجت بقول رسول الله ﷺ أنه قال: «من كانت لأخيه ..... أو ماله فليُحلَّلها منه قبل أن يأتي ..... ولا درهم فيؤخذ من حسناته ..... سيئات أخذ من سيئات صاحبه فتزيد على سيئاته ..... وأورد المحاسبي عدة أحاديث وأمثال في ..... في الغيبة بأحد عشر سبباً فثمانية ..... الخاصة وقد لخصتها [١٠-ب] بطريق الإتصاف، في مؤلفي النصر والإسعاف، على المنتقدين لمؤلفي النكت الظراف، فليراجعها طالبها في أصلها، مع ذكر الموعظة فيها وما يحرم من فعلها، وذكر النبي ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لبعضها.

منها أنه سأل عمرُ ابنَ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في الخلافة فقال ابن عباس: أين أنت عن علي قال: كثير ..... فقال: الزبير؟ قال: ..... قال: طلحة؟ قال: نحوه ..... قال: ذلك صاحب مغيب حيل قال: ..... قال: كلف بأقربائه، قال: فعبد الرحمن ..... قال ذاك رجل لين، أو قال رجل ..... قال: فما أراد عمر عندها إلا أن يبين ..... ليقدم الناس أفضلهم عندهم ..... الخلافة.

وشهد أن النبي ﷺ ..... وهو عنهم راضٍ، ففي ذلك ..... لم يرد تنقصهم ولا عيبهم، وكيف ينقصهم ويعيبهم وهو يفضلهم على جميع الأمة ولا ..... بالخلافة منهم ثم نقل الإمام ..... كلام عدة ..... الدلالة ..... (١) [١١-أ] على الرجل وذكره وهو لا يُعرف الرجل إلا به كقولك الأعرج والأعمش، وكقول العلماء: عن أبي الزناد عن الأعرج وسليمان الأعمش وإن كان بعضهم قد كره ذلك ولم يقطع على غيره بالغيبة في ذلك، وكلما تركت ذلك فهو أفضل ما وجدت عنه مندوحة فإذا لم يعرف إلا بذلك فلا بأس به، ولا يكون غيبة إلا أن يريد عيبه وتنقيصه وصفته بذلك فيكون غيبة إلى غير هذا من أقوال العلماء فيها.

ومنها قال قوم: الغيبة لا تكون إلا في الدين ولا تكون في الخلقة والحسب، وقالوا: ذلك فعلٌ له وإنما يغتابه المغتاب لفعله في دينه ورد ذلك بالأحاديث. وقال قوم: لا تكون

(١) وردت في هذه الورقة أيضاً أنقاص كثيرة في النص بسبب ترميم قديم لها أضاع الكثير من الكلمات فوضنا مكانها نقاطاً.

الغيبة في الدين، ولا تكون إلا في الخلق والخلق والحسب، والغيبة في الخلق أعظم لأن مَنْ عَابَ مَا عَابَ اللَّهُ وَذَمَّ مَا نَقَصَ اللَّهُ فَلَيْسَ بِعَاصٍ، قِيلَ لَهُ مَا بِهِ لَمْ يَرِدْ بِذَلِكَ أَنْ يُوَافِقَ اللَّهُ فِي ذَمِّهِ إِيَّاهُ وَإِنَّمَا أَرَادَ تَنْقِصُهُ وَإِشْقَاءَ غِيْظِهِ فِيهِ، فَإِنْ أَرَادَ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَمْ يَعْصِ إِلَّا مَا عَابَ اللَّهُ وَلَيْسَ بِعَاصٍ مَنْ ذَمَّ مَا ذَمَّهُ اللَّهُ.

واحتجوا بحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن المرأة الكثيرة الصلاة والصوم ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها [١١ ب] قال: «هي في النار» وهذا القول خطأ عند جميع العلماء، لأن العلماء في أول الدهر من أصحاب النبي ﷺ والتابعين وَمَنْ أَدْرَكْنَا لَمْ تَكُنْ الْغَيْبَةُ عَنْهُمْ فِي شَيْءٍ أَكْثَرُ مِنَ الْغَيْبَةِ فِي الدِّينِ لِأَنَّ غَيْبَةَ الدِّينِ أَكْثَرُ مِنَ الْغَيْبَةِ فِي الْغُيُوبِ. وكفى بذلك تكذيباً لمن قال هذا القول قول النبي ﷺ «إِذَا قُلْتَ فِي أَخِيكَ مَا يَكْرَهُهُ، فَقَالُوا: إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا قُلْتَ. قَالَ: إِنْ كَانَ فِي أَخِيكَ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَكُلُّ مُؤْمِنٍ يَكْرَهُ أَنْ يُذَكَرَ فِي دِينِهِ أَشَدَّ مِمَّا يُذَكَرُ فِي بَدَنِهِ، وَمَا قِيلَ فِي دِينِهِ فَهُوَ فِيهِ بَاقِي عَمْرِهِ» فَإِذَا أَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّ الْغَيْبَةَ مَا يَكْرَهُ الْمُسْلِمُ أَنْ يُقَالَ فِيهِ مِمَّا هُوَ فِيهِ وَأَكْرَهُ مَا يُقَالَ فِيهِ مَا ذُكِرَ فِي دِينِهِ.

فمن زعم أن ذلك ليس بغيبة فقد رد ما قال النبي ﷺ وكفى بعموم النبي ﷺ قوله: «دِمَاؤُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ وَأَعْرَاضُكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ» وذلك عام للدين والدنيا، إلى غير هذا من الأحاديث الشريفة. فمن خص من ذلك شيئاً فقد عارضها. وأما من زعم أن النبي ﷺ سأل أصحابه عن المرأتين فأخبرهم بمنزلة المؤذية لجيرانها عند الله ليتحفظوا [١٢ أ] ويحذروا، ولو كان ذلك يجوز أن تحل له به الغيبة لحلت أيضاً في الأبدان لقوله في قوم سئل عنهم ﷺ وفي السؤال نقص في أبدانهم لا يريد بذلك تنقصهم.

ثم ذكر المحاسبي حديث أبي رهم الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما غزى مع رسول الله ﷺ غزوة تبوك وجعل يسأله عن من تخلف من بني غفار فقال ﷺ «ما فعل النفر الحمر الشطاط والنفر السود القصار الذين لهم نعم تمسكه» شرح الحديث. قال المحاسبي: لو كانت إجابتهم لرسول الله ﷺ وسؤالهم إياه عن المرأة يدل أن الغيبة في الدين ليست بمحرمة لما قال للنفر ما تقدم. وكله عيب في الخلقة وليس ذلك منه في المرأة في سؤاله عن النفر بعينه ولكنه لعذر غير غيبة.

والسؤال منه ﷺ أوكد من عرضهم عليه المرأة المؤذية لجيرانها مع كثرة صلاتها وصيامها، وعرضهم عليه الأخرى القليلة الصلاة والصيام لا المؤذية لجيرانها ليعلموا

أيهما أولى وأفضل، كثرة الطاعة في النوافل مع بعض الإثم [١٢-ب] أم قلة النوافل مع ترك الإثم. فالغيبة محرمة في الدين والدنيا في الرجل المسلم إلا ما جعل الله في كتابه أو سنة رسوله ﷺ. وإجماع العلماء بأنه لم يغنه في تحريمه الغيبة إلا بنقص. وإن كان ظاهره كالغيبة. والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب. انتهى ملخصاً من كلام الإمام المحاسبي رحمه الله تعالى. وكان أحد الزهاد وأجل الصوفية ببغداد ومات في سنة ثلاث وأربعين ومائتين [٣٢٤ هـ / ٨٥٧ م] بالأعداد. وقد أشفى بقوله الغليل، وهدى كل أفك ضليل. فليعلم ذلك، كل واقف على ما هنالك، سلك الله بنا وبه أحسن المسالك.

ثم قصدت بعده لبيان جواز الغيبة في الأد وال، ستة خصال، قالها الفقهاء والعلماء النبهاء، ونقلتها من خط شيخ الإسلام، مفتي الأنام كمال الدين محمد بن أبي شريف القدسي الشافعي<sup>(١)</sup> - رحمه الله تعالى - وصورتها: ومن نظم كاتبه بيتان نظم فيهما المواضع الستة التي لا يكون القدح فيها غيبة كما ذكره الإمام النووي في الإنكار، وفي أوائل النكاح من الروضة، وهي: التظلم لمن له قدرة على الإتيان كظلمي فلان بكذا، والاستعانة على تغيير المنكر كفلان مرتكب كذا [١٣-أ] والاستفتاء، كما طريقي في الخلاص من فلان فقد فعل كذا، وتحذير المسلمين كنصح المستشار في خاطب أو شريك أو برأي معيب ونحو ذلك، وذكر المجاهر بالفسق بما تجاهر به من فسقه، وتعريف مشهور بلقب كالأعمش سليمان بن مهران، والأعرج عبد الرحمن بن هرمز. والبيتان هما:

القدح ليس بغيبة في سذنة      متظلم من أو معرف ومعد ذر  
ومجاهر بالفسق ثمت سائل      ومن استعان على إزالة منكر

فعلم من هذه الخصال الستة بأن ذكرني لذوي العاهات المذكورين ليس بغيبة، لأنني لم أقصد لهم النقيصة، وإنما أردت تعريفهم والتسلي بهم والموعظة الخفيفة. كيف وقد ذكرت نفسي في الصلح وجدّي لأمي في العزج، وجماعة من مشائخي الأجلاء في العُمني وغيرهم من العلماء والصحابة الأتقياء الذين هم كالنجوم، وكل من اقتدى بهم اهتدى للعلوم، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَنَفَعْنَا بِهِمْ.

(١) ابن أبي شريف توفي (٤٠٦ هـ / ١٥٠٠ م) كانت له علاقات علمية كبيرة بمكة، وأقام فيها كثيراً. انظر ترجمته: الهيئة: التاريخ والمؤرخون بمكة، ص ١٦٧.

ولي قدوة بوصف أمير المؤمنين عمر لغالب الصحابة العشرة المبشرين بالجنة كما مرّ، وبمن قال في هذه المسألة أن الغيبة في الأبدان ليست بمحرمة، وبقوله ﷺ [١٣-ب] «ما فعل أولئك النفر الحمر الشطاط والنفر السود القصار يعني الغلاظ» وهذا كله عيب في الخلقة كما تقدم، والله تعالى أعلم.

ثم إنني كتبتُ سؤالاً لعلماء القاهرة، أطلب منهم النصرة ودفع المقاهرة، في عام تسع وأربعين وتسعمائة [١٩٤٩ هـ / ١٥٤٢ م] لمن أنكر عليّ فعل هذا التأليف. فكتب لي عليه جماعة من علماء المذاهب الأربعة بجواب لطيف. وصورة ذلك ليقتدي به كل مُهْتَدٍ سالك: ما قولكم - رضي الله عنكم - في رجل من طلبة العلم اطلع على كتاب يقال له مفيد العلوم، لعالم الحنفية أبي بكر محمد بن موسى الخوارزمي المعلوم، ورأى فيه أبواباً في ذكر علل الأشراف، ذكر فيها جماعة من أكابر سلف الأمة وخلفها ممن اتصف بذلك كالأعرج والأقرع والأعمى وأشباهاها. فلما رآه ألف كتاباً مفرداً في هذا المعنى معطلاً إقدامه على ذلك بما علل به صاحب الكتاب المذكور من قصد العظة والاعتبار والتسلية. فهل القصد المذكور يبيح الإقدام على ذلك أم لا؟ أفْتُونَا مأجورين أثابكم الله تعالى الجنة. [١٤-أ]

وكتب عليه أربعة أنفس منهم ونقلت من خطهم ما صورته فالأول: الحمد لله رب العالمين، اللهم صلّ على محمد وآله وسلم. الإقدام على ذلك بالقصد المذكور ليس قبيحاً، وقد سبق إلى هذا ابن قتيبة وذكر أهل العاهات كالبرص والعرج والصمم والجذع والحول والزرق والفقم والكواسج والصُّلع والبُخر والعُور والمكافيف. والله سبحانه وتعالى أعلم.

وكتبه مسلم المدعو أبو الفيض بن علي السلمي الحنفي، عفا الله عنه.

وكتابة الثاني: بعد الحمد لله، اللهم ألهمني الصواب، جوابي كذلك، والله أعلم بالصواب. كتبه أحمد بن النجار الحنبلي حامد الله ومصلياً ومسلماً.

وكتابة الثالث: الحمد لله رب العالمين، جوابي كذلك. والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب. وكتبه الفقير ناصر اللقاني المالكي حامداً مصلياً ومسلماً.

وكتابة الرابع: الحمد لله جوابي كذلك والله أعلم، وكتبه أحمد البلقيني الشافعي لطف الله به والمسلمين آمين. انتهى ما كتبه علماء القاهرة من المذاهب الأربعة والله الحمد والمنة.

ثم وصلني في عام تاريخه رسالة من الشام، كتبها لي العلامة الهمام، محدث دمشق ومؤرخها ومحبي علوم الأثر فيها [١٤-ب] الشمسي أبو عبد الله محمد بن طولون الصالحي الحنفي - نفع الله به - وعاملني وإياه بلطفه الخفي، ذكر فيه: وأما ما ذكرتموه من أمر مؤلفكم النكت الظراف فقد قال الإمام شمس الدين محمد بن مفلح الحنبلي في كتابه الآداب الشرعية: ذكر القفطي عن قوم أن الغيبة إنما تكون في الدين لا في الخلقة والحسب إلا إذا قال ذلك على وجه العيب. وعلى ذلك مشى الإمام أبو محمد بن قتيبة في كتابه المعارف فإنه ذكر فيه الفُلج، والعرج والبرص ونحو ذلك.

ولا شك أن المصنفين ألقوا في هذا المعنى كالصلاح الصفدي في كتابه الشعور، بأخبار العور ونكت الهميان، في نكت العميان وأنهم لم يقصدوا العيب وإنما قصدوا العلم والإحاطة لمن انتفى له ذلك من الأعيان، وإفادته لمن بعده الاعتبار والاعتاظ، كما نقله العلماء الأيقاظ. انتهى.

وقد وصل مشرفكم وأنا أكتب في تعليقي «تعجيل البشارة لمن صبر، على ذهاب البصر» فكان مانعاً لي من ذكر أحد من الأحياء فيه وهو في عشر كراريس. انتهى بحروفه والله الحمد.

وأما ما ارتكبه المنكرون عليّ من البهتان، [١٥-أ] والإفك والعدوان، وقصدوا به الأذى والنقيصة، فليس لهم من عقاب الله محيصة، فإنهم استباحوا مني ومن أقاربي الأعراض، ونسبوا إليّ جملة من النقيصة والأمراض، التي عافانا الله منها وبرأنا من قائلها وصارت لنا حسنات ولهم سيئات يُطالبون بها يوم الحساب، كما ورد في الحديث الشريف بالقول الصواب.

وقد نظم بعض الأحباب والأدباء الأجاب قوله ﷺ «من قفى أخاه بشيء يسيئه يريد سبته به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال» وهو:

م ن ك ان قفى بشيء مسلماً عبثاً	ب ه يري د ل ه التنقيص في البشر
يوم المعاد على جسر السعير ل ه	حبس وناهيك ذاك الخوف من كدر
حتّ . ه يخرج مما قال في . ه ولا	خ روج بالإفك والبهتان من ص قر



واتفق لي بعد الإتيان عليّ من بعض من ذكرته في الصلحان، وهم في الحقيقة قرعان من أهل البلاد وفجار العصر أنني تركتهم إهمالاً لهم لكونهم ليس بهم فخر خصوصاً وقد لحقتهم حمية الجاهلية بأخذ الثأر في النكير، وما سكن عنهم الزفير، [١٥-ب] وأطفئ السعير إلا ببلى نسخة من هذا التأليف بالماء، وعند الله يجتمع الخصماء. وكان مما قدره الله تعالى من الإيقاظ، الذي يحصل به الاتعاض، أن بعد عشرين يوماً من بلى المؤلف المذكور، حصل لمكة سيل عظيم مشهور، دخل إلى الكعبة الشريفة والمسجد الحرام، وبلى فيه المصاحف والربعات العظام، فقال في ذلك بعض الأدباء الحسن المسالك، منبهاً للموعظة هنالك، بأبيات مطولة ومختصرة، فأذكر منها هنا الأخيرة وهي:

مَ حَ . ا مؤلف ج . ا ر الله أفد دة<sup>(١)</sup> في شهر ش عيان يوم الخميس منه فقط  
فجاء ه . ا السيل في خم س ويعقبها عشرون من عام محط والبناء س قط  
فه . ذه نص . رة عم . ت وتذكره فيها ا اعتبر . ا ر لم ن ودى بها ولغظ

فحينئذ دلني ذلك على كثرة الجهل والبهتان، ونقصان أهل الزمان، وعدم كثير من العلماء يرجعون إليه ويعولون في أمورهم عليه، فأستعين عليهم بالله وأعتصم بحبل الله، وأقول حسبي الله وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وعليه أتنب، وأوكل أمري إلى الله القريب المجيب، وأنشد قول نبي الله يعقوب [١٦-أ] في أول شعر قاله في المطلوب:

فصبر ر جميع ل بال ذي جنتم به وحس بي إلهي في المهمات كافياً

وقول بعض من هو بزم الدنيا بصير، في الطلب من الله يوم المعاد نصير:

ولا خير في الدنيا إذا لم يكن بها م ن الله في يوم المعاد نصير

ثم بشرت نفسي العاصية، بقول الأديب أبي العتاهية:

ه ي الأي . ا م والعبر وأم . . ر الله ينتظر

أتياأس إن ت رى قرحاً فأي . ن الله والعبر . ر

ومن هنا أشرع الآن في ما قصدت من الموعظة والبيان. وبالله المستعان.

(١) بالحاشية اليمنى تعليق نصه: (محيي حديث رسول الله أفددة).

## الباب الأول:

ذكر ذوي العاهات مجملاً، وبيان الأشراف منهم مفصلاً، كما نقله الإمام أُوحد فقهاء بغداد الأعلام، المجدد الدين لهذه الأمة على رأس المائة الرابعة أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي الحنفي - رحمه الله تعالى - في كتابه مفيد العلوم، ومبيد الهموم، في النوع الثالث والعشرين من آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى زمن الإسلام. فقال<sup>(١)</sup>: الباب الحادي عشر في العاهات يعني بالأنبياء والصحابة والأشراف ذوي الغنايات.

منهم شعيب وإسحاق عَلَيْهِمَا السَّلَامُ كانا أعميين [١٦-ب] والعباس<sup>(٢)</sup> بن عبد المطلب وابن أخيه عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وأبو سفيان بن حرب وعبد الملك بن مروان<sup>(٣)</sup> والقاسم بن محمد بن أبي بكر والبراء بن عازب وجابر بن عبد الله وحسان بن ثابت وسعد بن أبي وقاص وغَدَانَةُ الأوسي وأبو عبد الرحمن السلمي ودريد بن الصمة الجشمي شَهِدَ حَنِينٌ وهو يومئذ أعمى.

ثم قال الشيخ أبو بكر الخوارزمي المذكور في الباب الثاني عشر في عاهات الأشراف: الغُور منهم أنوشروان وأمّية بن عبد شمس والمغيرة بن شعبة، ذهبَ عينه يوم القادسية، والأشتر النخعي والأشعث بن قيس ذهبَ عينه يوم اليرموك، وأبو سفيان بن حرب ذهبَ عينه يوم الطائف، وعتبة بن أبي سفيان ذهبَ عينه يوم الجمل، وجَرِير بن عبد الله البجلي ذهبَ عينه بهمذان، وعدي بن حاتم الطائي ذهبَ عينه يوم الجمل، والمختار بن أبي عبيد ضربه عبد الله بن زياد في وجهه بالسياط، وطلحة الطلحات والمهلب بن أبي صفرة<sup>(٤)</sup> [١٧-أ] ذهبَ عيناها بسمرقند، وعمر بن معدي كرب ذهبَ عينه في اليرموك، وأحنف بن قيس ذهبَ عينه في الجدي وعطاء بن أبي رباح، كان مُتَكِنًا على وسادة فقال لتلميذه: ناولني شيئاً كان بين يديه، فقال: هو بين يديك، فقال: يا بني، وما تعجب من هذا، فوالله الذي لا إله غيره لقد ذهبَ عيني منذ

(١) الخوارزمي: مفيد العلوم، ومبيد الهموم، ص ٤٧٧.

(٢) كذا بالأصل وفي طبعة مفيد العلوم للخوارزمي عبد الله بن العباس.

(٣) النقل من كتاب مفيد العلوم للخوارزمي، ص ٤٧٧.

(٤) تكرر هذا الاسم في المخطوط.

أربعين سنة ولم يعلم بها أحد إلى اليوم. وكان الخليل وأبو مقتل وأبو أحمر النحاة كلهم غوراً. وكذا طاهر بن الحسين وأنشد فيه:

ياذا اليمين بن وعين واحدة      نقصان عين ويمين زائدة

انتهى كلام الخوارزمي رحمه الله تعالى<sup>(١)</sup>.

يقول مؤلفه محمد المدعو جار الله - وفقه الله، وألهمه هداة:

إن الكلام في الأنبياء من الغني اختلف فيه العلماء فقال العلامة المفسر جار الله الزمخشري في الكشاف<sup>(٢)</sup> عند قوله تعالى ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾<sup>(٣)</sup> أي نبي الله يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبتة إلى بياض كدر قيل: قد عمي بصره، وقيل: كان يدرك إدراكاً ضعيفاً، قرئ من الحزن، وكان الحزن سببه البكاء الذي حدث منه البياض فكأنه حدث من الحزن [١٧ب] قيل: ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاماً، وما على وجه الأرض أكرم عند الله من يعقوب.

وعن رسول الله ﷺ «أنه سأل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف؟ قال: وجد سبعين ثكلى، قال: فما كان له من الأجر؟ قال: أجر مائة شهيد، وما ساء ظنه بالله تعالى ساعة قط» انتهى كلام الزمخشري رحمة الله عليه.

ووجدت في كتاب المواهب اللدنية، بالمنح المحمدية لشيخنا القدوة الأمجد شهاب الدين أحمد القسطلاني في خصائص النبي محمد العدناني: إنه لا يجوز عليه الجنون ولا الإغماء الطويل الزمن، وكذلك الأنبياء<sup>(٤)</sup>.

قال الإمام تقي الدين السبكي: ولا يجوز عليهم العمى لأنه نقص، ولم يعم نبي قط. وما ذكر عن شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه كان ضريراً فلم يثبت. وأما يعقوب فحصل له غشاوة وزالت. انتهى. وقال الإمام فخر الدين الرازي<sup>(٥)</sup> المفسر في قوله تعالى ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ﴾<sup>(٦)</sup>

(١) النقل من كتاب مفيد العلوم للخوارزمي، ص ٤٧٧-٤٧٨.

(٢) الزمخشري: الكشاف، ٢/٤٩٧.

(٣) القرآن: سورة يوسف، الآية: ٨٤.

(٤) النقل من كتاب المواهب اللدنية للقسطلاني، ٢/٦٨١.

(٥) النقل عن القسطلاني في المواهب اللدنية، ٢/٦٨٢.

(٦) القرآن: سورة يوسف، آية: ٨٤.

لما قال: ﴿يَتَأَسَّى عَلَى يُوسُفَ﴾<sup>(١)</sup> غلبه البكاء، وعند غلبة البكاء يكثر الماء في العين فتصير العين كأنها أبيضت من بياض ذلك الماء.

وقوله ﴿وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ﴾ [١٨-أ] كأنه من غلبة البكاء. والدليل على صحة هذا القول أن تأثير الحزن في غلبة البكاء لا في حصول العمى. فلما حملنا الابيضاض على غلبة البكاء كان هذا التعليل حسناً، ولو حملناه على العمى لم يحسن هذا التعليل فكان ما ذكرناه أولى.

ثم قال: واختلفوا فقال بعضهم: إنه كان قد عمى بالكلية فالله تعالى جعله بصيراً في هذا الوقت. وقال آخرون: بل كان قد ضعف بصره من كثرة البكاء والأحزان بحيث صار يُدرك إدراكاً ضعيفاً فلما ألقوا القميص على وجهه وبُشِّرَ بحياة يوسف عظم فرحه وانشرح صدره وزالت أحزانه، فعند ذلك قوي بصره وزال النقصان عنه. انتهى كلام شيخنا القسطلاني - رحمة الله عليه -.

ثم رأيت الإمام الثعالبي المفسر ذكر في مؤلفه العرائس أن نبي الله شعيب كان أعمى كما أخبر الله عز وجل عن قومه ﴿وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾<sup>(٢)</sup> أي ضريباً.

ونقل العلامة جاز الله الزمخشري في تفسيره الكشاف وعند قوله تعالى لخطاب قوم شعيب ﴿مَا نَفَقَ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾<sup>(٣)</sup> كيف لا يفهم كلامه [١٨-ب] وهو خطيب الأنبياء. وقيل كان الأثلغ<sup>(٤)</sup>. وقولهم ﴿فِينَا ضَعِيفًا﴾ أي لا قوة لك ولا عز في ما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا إن أردنا لك مكروهاً، وعن الحسن: ضعيفاً مهيناً، وقيل: ضعيفاً أعمى. فحمير تسمى المكفوف ضعيفاً كما يسمى ضريباً، وليس بسديد لأن «فينا» يأباه. ألا ترى أنه لو قيل: إنا لنراك فينا أعمى لم يكن كلاماً لأن الأعمى فيهم وفي غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطاً. انتهى.

يقول مؤلفه - غفر الله له وسامحه من الآثام -: ومن هذه الأقوال يفهم تضعيف العمى في ما يقال في حق شعيب ويعقوب عليهما السلام.

(١) القرآن: نفس الآية السابقة.

(٢) القرآن: سورة هود، آية: ٩١.

(٣) القرآن: نفس الآية السابقة.

(٤) الأثلغ: الذي يقع في نطقه تحويل الحروف فينطق بحرف عوض آخر كالغين عوض الراء.

وأما نبي الله إسحاق فلم أرَ مَنْ تعرَّضَ لذكره في العميان غير الإمام أبي بكر الخوارزمي من علماء الزمان.

وأما قوله: كان ألثغ فقد وقع لكثير من العلماء والقضاة نقلها. وضمنها في النظم أُوْحِدَ فقهاء الشافعية العلامة أبو الخير محمود بن الوردی هنالك فقال:

الألثغ الطاء ن تولّى القضا      فيال له م . ن ألثغ طاء ن  
إن سبّح الباري حكى سيئه      وقال: سبّحانك يا باغي

فنعوذ بالله من تغيير الأحوال، وما يؤدي إلى الضلال<sup>(١)</sup>.

وأما سوى من ذكره الخوارزمي من الصحابة وله شهرة في الأهل والقرابة فعبد الله أبو قحافة والد أبي بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. ذكر ابن إسحاق في السيرة النبوية قال: حدثني علي بن عباد عن أبيه عباد ابن عبد الله بن الزبير عن أسماء بنت أبي بكر قالت: لما كان عام الفتح نزل رسول الله ﷺ ذا طوى [١٩-أ] قال أبو قحافة لبنت له كانت من أصغر ولده: أي بُنية أشرفي بي على أبي قبيس - وقد كفّ بصره - فأشرفت به عليه حتى ترأى لجيش النبي ﷺ وأخبرته بالخيول وانتشارها فقال لها: أسرعي بي إلى بيتي فخرجت به سريعاً. حتى إذا ذهبت به إلى الأبطح لقيها الخيل واختطف إنسان من خلفها طوقها وهو من ورق. فلما دخل رسول الله ﷺ خرج أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حتى جاء بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: «هلا تركت الشيخ في بيته حتى أجيئه؟ قال: يمشي هو إليك يا رسول الله، فأجلسه بين يديه ثم مسح ﷺ بيده وقال: أسلم تسلم، فأسلم. ثم قام أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فأخذ بيد أخته وأنشد الله والإسلام طوقها مرتين، فلم يجبه أحدٌ. فقال: يا أختاه احتسبي طوقك عند الله فوالله إن الأمانة في الناس لقليل ل. انتهى ملخصاً<sup>(٢)</sup>.

ولما توجه النبي ﷺ بعد فتح مكة للطائف وحاصر أهلها أياماً، اتفق في يوم رحيله منها [١٩-ب] فُقُتَت عَيْن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فذكر ابن سعد أن النبي ﷺ قال له وهي في يده: أيما أحب إليك عَيْن في الجنة أو أدع الله تعالى

(١) ورد البيتان والجملتان السابقتان له بالحاشيتين العليا واليسرى من المخطوط.

(٢) ابن هشام: السيرة، ٤ / ٤٦-٤٨. ولم يرد النص في ما طبع من سيرة ابن إسحاق.

أن يردّها عليّك، قال: بل عين في الجنة، ورمى بها. ثم شهد اليرموك ففقت عينه الأخرى يومئذ.

ذكره الحافظ زين الدين العراقي في شرح التهذيب ثم نقله شيخنا الشهاب القسطلاني في مواهبه.

ووجدت شيخنا الحافظ شمس الدين السخاوي ذكر جملة من ذلك في مؤلفه عمدة الناس في مناقب العباس ونقلته عنه مطوّلاً في مؤلفي: تحفة اللطائف في فضائل الجبر ابن عباس ووجّ والطائف، ولخصّته هنا هو:

ما وقع للحبر ابن عباس ووالده من العلماء وصورته.

أخرج أبو نعيم عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: انتهيت إلى النبي ﷺ وعنده جبريل عَلَيْهِ السَّلَام فقال له جبريل: إنه كائن خبر هذه الأمة فاستوص به خيراً. وقال ابن سعد: حدثنا أبو بكر عن عامر - وهو الشعبي - قال: دخل العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى النبي ﷺ [٢٠-أ] فقال له ابنه عبد الله: لقد رأيتُ عنده رجلاً. فقال: ذاك هو جبريل عليه السلام. وروى ابن المظفر في الفضائل عن زينب ابنة سليمان بن علي قالت: حدثني أبي عن أبيه عن جده ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «بعث النبي ﷺ إلى العباس فقام عبد الله وراءه وعند النبي ﷺ رجل، فالتفت النبي ﷺ إلى عبد الله فقال له: متي جئت يا صبي؟ قال: منذ ساعة، قال: فهل رأيت عندي أحداً؟ قال: نعم رأيت رجلاً، قال: ذاك جبريل، ولم يره خلق إلا عمي إلا أن يكون نبياً. ولكن أسأل ربي أن يجعل ذلك في آخر عمرك، ثم قال: اللهم علّمه التأويل وفقّهه في الدين واجعله من أهل الإيمان».

ثم تكلم شيخنا السخاوي، على رجال هذا الحديث وما هو عليه حاوي، فقال سليمان بن علي: قال ابن القطان: هو شريف في قومه ولا يُعرف حاله في الحديث. وذكره ابن حبان في الثقات. ثم ساق شيخنا بعد هذا الكلام للحديث طريقاً أخرى رواها الطبراني في الأوسط من حديث الداودي عن ثور بن يزيد [٢٠-ب] عن موسى بن قيس عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال: بعث العباس بعبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلى رسول الله ﷺ في حاجة فوجد معه رجلاً فرجع ولم يكلمه، فقال: رأيتُه؟ قال: نعم، قال: ذاك

جبريل، أما إنه لن تموت حتى يذهب بصرك وتؤتى علماً. قال الطبراني: لم يروِه عن موسى إلا ثور، تفرد به الداودي.

وقال شيخنا السخاوي عقبه: وله طريق أخرى لكن بدون الشاهد منه، فروى ابن منيع في مسنده من حديث حماد بن سلمة عن عمارة بن أبي عمار عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنت مع أبي عند النبي ﷺ وعنده رجل ينجيه وكان النبي ﷺ كالمعرض عنه، فسألني أبي بعد ذلك يعني عن إعراضه فقلت: يا أبت كان عنده رجل ينجيه، فقال: ثم رجعنا إلى النبي ﷺ فقال أبي: يا رسول الله، قلت لعبد الله كذا وكذا فأخبرني أنه كان عندك رجل ينجيك فهل كان عندك أحد؟ فقال رسول الله ﷺ: وهل رأيته يا عبد الله؟ قال: نعم، قال: ذاك جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو الذي شغلني عنك. يعني كالمعتذر له، ثم قال... (١)

[٢١-أ] ..... كذلك حيناً لا يسمع الأذان في الجمعة إلا فعل ذلك فقلت له: يا أبت استغفارك لأبي أمانة كلّمَا سمعت أذان الجمعة، ما هو؟ قال يا بني هو أول من جمع بالمدينة، قال قلت له: كم كنتم يومئذ؟ قال أربعون رجلاً. انتهى من المواهب اللدنية لشيخنا القسطلاني، رحمه الله.

وأما حديث عتيان بن مالك الأنصاري الخزرجي السالمي فقال الحافظ عز الدين ابن الأثير الشيباني في مؤلفه أسد الغابة، في أسماء الصحابة، عن إبراهيم بن سعد قال: سمعت الزهري يحدث عن محمود بن الربيع عن عتيان بن مالك السالمي قال: كنت أؤم قومي بني سالم وك إذا جاءت السيول شق عليّ أن أجتاز وادياً بيني وبين المسجد فاتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إني يشق عليّ أن أجتازه، فإن رأيت تأتيني وتصلّي في بيتي مكاناً أتخذه مصلياً؟ قال: أفعل. فجاءني الغد فأجلسته على خزيرة (٢)، فلما دخل ﷺ لم يجلس حتى قال: أين تحب أن أصلي في بيتك؟ فأشرت إلى الموضع الذي أصلي فيه فصلّي فيه ركعتين، ثم ذكر الحديث.

وقال ابن الأثير عقبه: وإنما طلب ذلك لأنه كان قد عمي، وقد كان في بصره ضعف. انتهى (٣).

(١) سقطت ورقة أو أكثر من المخطوط لأن النص قد انقطع في نهاية هذه الورقة.

(٢) الخزيرة: طعام من لحم يُقطع قطعاً صغيرة ثم يطبخ في حساء.

(٣) ابن الأثير (عز الدين): أسد الغابة ٣: ٣٥٩.

[٢١-ب] وأما مؤذن رسول الله ﷺ المعروف بابن أم مكتوم فاختلف في اسمه. فقال أهل المدينة عبد الله، وقال أهل العراق عمر، وهو الأكثر. واتفقوا على نسبته فقالوا: ابن قيس بن زائدة القرشي العامري الأعمى المؤذن المشهور، قدم المدينة بعد بذر بيسير، واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة ثلاث عشرة مرة في غزواته، وكذا في حجة الوداع، وشهد القادسية ومعه اللواء، وقُتل بها شهيداً.

وقال الواقدي: رجع منها إلى المدينة فمات بها. هكذا ذكره العز بن الأثير في أسد الغابة، في أسماء الصحابة<sup>(١)</sup> رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وروي في صحيح البخاري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال: «إن بلالاً يؤذن بليلٍ وكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم». وفي رواية «لا يؤذن حتى يقال له أصبحت» لكونه أعمى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري ذكره ابن حبان في الثقات، والحافظ ابن حجر في الإصابة وقالوا: كان من المؤلفات قلوبهم [٢٢-أ] له شرف، وقعد وكساه النبي ﷺ حلة فباعها بأربعين أوقية، وقال له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَرْضِي مخرمة؟» يعني بها. وعمي في خلافة عثمان، ومات بالمدينة زمن معاوية سنة أربع وخمسين [٥٤هـ / ٦٧٤م]، وله من العمر مائة وخمس عشرة سنة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يقول مؤلفه محمد المدعو جار الله، وفقه الله وعافاه وشفاه: وقد حدث العمى في البصر لجماعة من العلماء أهل النظر من المتقدمين والمتأخرين، يحصل التكلف في جمعهم بيقين، وإنما القصد الاعتبار بالمذكورين من العلماء والصالحين. وأقتصر منهم الآن، على بعض الأعيان، من مشايخ الزمان. فمن المشهور من العلماء وكان أعمى ثم أبصر ونمي، الحافظ الحجة شيخ السنة، أول من جمع الصحيح وسنّه، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري - رحمه الله تعالى - قال فيه العلامة المحقق شمس الدين محمد الكرمانى، في خطبة كتابه الكواكب الدراري، في شرح صحيح البخاري: كان أبوه من خيار الناس، وكانت أمه مُجابهة الدعوة، وكان البخاري قد ذهب بصره وهو صغير فرأت أمه [٢٢-ب] في المنام نبي الله إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال: يا هذه قد ردّ الله على ابنك بصره لكثرة دعائك وبكائك فأصبح بصيراً. انتهى.



وأما غيره من المعترين، ويقال خُلِقَ أَكْمَهُا بَيِّقِينَ، فالحافظ الكبير، الجامع لسنن البشير النذير، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي - رحمه الله - قال فيه الحافظ الذهبي في طبقات الحفاظ: قال الحاكم أبو عبد الله إنه بكى حتى عمي وبقي ضريراً سنين<sup>(١)</sup>. وقال جدّ والدي الحافظ تقي الدين محمد بن فهد المكي في مؤلفه نهاية التقريب: قال يوسف بن أحمد البغدادى الحافظ: أضرباً أبو عيسى الترمذي آخر عمره. قلت: وهذا يرد على من زعم أنه خُلِقَ أَكْمَهُا. ثم نقل جدّي كلام الحاكم الماضي مفصلاً. وأنه بكى حتى حصل له العمى.

وكان كذلك شيخ القراء، وإمام الإقراء، شرف الدين أبو القاسم بن فيرّة الشاطبي الضرير، قال الذهبي في طبقات القراء: كان يجلس إليه من لا يعرفه فلا يرتاب في أنه يُبصر لأنه من ذكائه لا يظهر منه ما يظهر من الأعمى في حركاته. ولذلك حُكِيَ عنه لُطْفٌ فِي الذِّكَاءِ وَالْفُطْنَةِ<sup>(٢)</sup> [٢٣-أ] وكذلك العلامة اللغوي أبو العلاء المعري واسمه أحمد بن عبد الله بن سليمان التتوخي المشهور بالطائف، والنوادر والخفائف. قال شيخنا الحافظ جلال الدين السيوطي في طبقات النحاة إنه جُدِرَ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ مِنْ عَمْرِهِ فَعَمِيَ مِنْهُ، وَكَانَ يَقُولُ: لَا أَعْرِفُ مِنَ الْأَلْوَانِ إِلَّا الْأَحْمَرَ لِأَنِّي لَبَسْتُ فِي الْجَدْرِ ثَوْباً مَصْبُوغاً بِالْعَصْفَرِ، وَلَا أَعْقِلُ غَيْرَهُ.

وقال شيخنا السيوطي أيضاً في طبقات النحاة: الإمام الحافظ أبا زيد عبد الرحمن بن عبد الله السُهَيْلِي المشهور. وقال: كَفَّ بَصْرَهُ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ عَشْرَةِ سَنَةً، وَدَخَلَ مَرَاكِشَ وَحَظِي بِهَا وَمَاتَ بِغَرْنَاطَةِ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ [٥٥٨١ هـ / ١١٨٥ م] وَهُوَ نَازِمُ الْأَبْيَاتِ الْمَشْهُورَةِ فِي التَّوَسُّلِ الَّتِي أَوْلَاهَا:

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ أَذْنَ الْمُعَةِ . ذَلِكَ لَمْ . مَا يَتَوَقَّعُ

وقال فيها الإمام النووي: ما قرأها أحد ودعا الله عقبا بشيء إلا استجبت له<sup>(٣)</sup>.

وذكر شيخنا السيوطي أيضاً في طبقات النحاة: العلامة أبو عبد الله محمد بن أحمد بن جابر الأندلسي الهواري [٢٣-ب] المالكي الأعمى النحوي، وأحمد بن يوسف

(١) الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢: ٦٣٤.

(٢) رجعنا إلى كتاب الذهبي: معرفة القراء الكبار، على الطبقات والأعصار، فوجدنا فيه ترجمة ابن فيره في ج ٢ ص ٥٧٣-٥٧٥ ولم نجد النص الوارد أعلاه.

(٣) السيوطي: بغية الوعاة، في طبقات اللغويين والنحاة ٢: ٨١ - ٨٢.

الرعياني وقال: هاذان هما المشهوران بالأعمى والبصير. وكان ابن جابر يؤلف وينظم والرعياني يكتب ولا زالا هكذا على طول عمرهما حتى مات أولهما في سنة ثمانين وسبعمائة [٥٧٨٠ هـ / ١٣٧٨م] ومات ثانيهما قبله بسنة. واشتهر لهما شرح الألفية النحوية لابن مالك، رحمة الله عليهم.

وذكر شيخنا الحافظ شمس الدين السخاوي في تاريخه الضوء اللامع، لأهل القرن التاسع، جماعة من علماء وقته منهم شيخ المالكية بلا مدافع أبو الحسن علي بن عبد الله السنهوري الأزهرى الضرير<sup>(١)</sup>، وغيره. وقال: صاحبنا المحدث المفيد شمس الدين محمد د الداودي المالكي أنه لازمه في مطالعة دروسه، وبعد موته لازم في الفقه تلميذه الشيخ شمس الدين محمد بن عيسى الدواخلي الضرير. وأخذ العربية عن الشيخ ناصر الدين محمد اللقاني الضرير وغيرهم من العلماء الماضين.

ومن المتأخرين من خلق أعمى أو طرأ له العمى وأدركته في هذا الزمان من الأكابر الأعيان [٢٤-أ] منهم خليفة الزمان عريق الأبوين عباسي الجدّين من جُبلت على محبته القلوب، المستمسك بالله أبو الصبر يعقوب، ابن المتوكل على الله العزي عبد العزيز الهاشمي العباسي المنفرد بلقبه والعمى في خلفاء بني العباس، كما أشار لذلك في نظمه لنذيل الخلفاء ولده المتوكل على الله وقاه الله البأس، فقال:

ولم يكن من أمير غير أربعة من هاشميين جاؤوا ما لهم نظرا  
أخذني الإمام علي. وأبذله وكذا جاء الأمين وقد متمسكاً حضرا  
ولم يلق ببه من قبله أحد من الخلفاء هذا قط ما شهرا  
ولم يكن خلع له من أجل منقصة في دينه ثم دني. ما ولي سجدرى  
سببه ذاك ولكن أم. ر خالصة فمذحل في عينه ما أذهب البصرا<sup>(٢)</sup>

[ومن أجلاء المشائخ أهل الإسناد والعلم الراسخ منهم شيخ شيوخنا الحافظ الحجة، أول قضاة المالكية بمكة عين مؤرخيها السيد الشريف تقي الدين أبو الطيب محمد بن

(١) السخاوي: الضوء اللامع ٥: ٢٤٩.

(٢) كذا ورد البيت في الأصل مضطرب الأسلوب. وبعد هذا البيت كتبت حواش طويلة بغير خط المؤلف ولكن في نصها ما يدل على أنها من تأليفه إذ ينكر فيها أنه ينقل عن كتاب جده النجم بن فهد الدر الكمين. وهذه الحواشي كتبت في طرر الورقتين ٢٣ب و ٢٤. وقد أوردناها داخل النص ووضعناها بين عاقتين.

أحمد الحسن بن الفاسي - رحمه الله تعالى - قال جدي الحافظ نجم الدين عمر بن فهد الهاشمي المكي في ترجمته من تاريخ الدر الكمين، بذيل العقد الثمين له<sup>(١)</sup>: إنه صُرف عن القضاء بمكة في أواخر سنة ثمان وعشرين وثمانمائة [٨٢٨ هـ / ١٤٢٥ م] بما ذُكر عنه من العمى - وكان هو في الأصل أعشى ثم ضعف بصره جداً - بالقاضي كمال الدين أبي البركات محمد بن محمد زين الدين القسطلاني. قدم القاهرة في أوائل سنة عشرين ..... فاستفتى فضلاء المالكية فأفتوه بما يقتضيه مذهبهم أن العمى لا يقدر إذ ..... على القاضي التأهل للقضاء، ومنهم من أفتى بأن لا يضر تولية الأعمى ابتداءً. واستتابه القاضي شمس الدين البساطي فحكم بالمدرسة الصالحية في القاهرة. ثم أنهى أمره إلى السلطان ووصف بما يستحقه من الثناء فأعيد إلى منصبه ثم توجه إلى مكة حتى ..... عليه خصمه فغزل به مرة ثانية في أوائل سنة ثلاثين فأبى أن يسعى له محبوه بالعود. واستمر معزولاً إلى أن مات في ثالث شوال سنة اثنين وثلاثين وثمانمائة [٨٣٢ هـ / ١٤٢٩ م] بمكة، ودفن بالمعلاة - رحمه الله وإيانا -.

ثم غزل خصمه بعده مراراً بتلميذه الذي حصل له العمى أيضاً في آخر عمره وهو العلامة الحجة شيخ النحاة محيي الدين عبد القادر بن أبي القاسم بن أبي العباس أحمد ..... المكي. فقال أيضاً جدي في ترجمته من مؤلفه الدر الكمين: إنه ولي القضاء مراراً منها بعد وفاة الكمال ابن الزين في سنة أربع وستين وثمانمائة [٨٦٤ هـ / ١٤٦٠ م] وفي هذه السنة قلَّ نظره، ثم بعد ذلك بمدة يسيرة فقد نظره فصبر واحتسب.

ثم غزل في صفر سنة ثمان وستين [٨٦٨ هـ / ١٤٦٣ م] لما ذكر عنه من العمى بالقاضي نور الدين علي ابن القاضي أبي اليُمْن النويري وترك المباشرة من ربيع الأول وجزع لذلك جزعاً شديداً ثم قدح عينيه في شعبان من السنة فأبصر بأحدهما ثم أعبد إلى وظيفة القضاء في شوال من السنة وياشر من أول ذي الحجة. ثم غزل به مرة أخرى في شوال سنة خمس وسبعين [٨٧٥ هـ / ١٤٧٠ م]. ثم أعيد في شوال سنة ثمان وسبعين [٨٧٨ هـ / ١٤٧٣ م] واستمر إلى أن انفصل بالوفاة - رحمه الله تعالى - في ظهر يوم الخميس مستهل شعبان سنة ثمانين وثمانمائة [٨٨٠ هـ / ١٤٧٥ م] بمكة المشرفة.

(١) ابن فهد (النجم): الدر الكمين ١: ٣ .

وخلفه حفيده ابن ولده شيخنا قاضي القاضي الجلاي أبي السعادات محمد بن أحمد المتوفى في حياة والده، فطرح الله البركة في عقبه. وقد أشار لقصة وفاته وعمى ..... والده وعزله من القضاء ..... في سنة واحدة شيخنا الحافظ الحجة جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي - رحمه الله تعالى - في مؤلفه المنجم في المعجم فقال في ترجمته: إنه ولي قضاء المالكية بمكة ثم أضر ..... فبلغني أنه كتب إلى صديق له رسالة الدعاء له فكتب إليه يرجع كل ذلك إلى ما كان .....<sup>(١)</sup> فظهر بزوجة ولده حمل بعد وفاته، وكان المكتوب إليه من أرباب الأحوال باليمن يقول له ذهب ولدي وبصري ونفسي، فولدت ولداً ذكراً وقدح عينه فأبصر وأعيد إلى منصب القضاء، فكان ذلك من لطف الله به في القضاء.

وقال جدي أيضاً في الدر الكمين في ترجمة الشيخ العلامة الأديب شاعر زمانه قطب الدين أبو الخير محمد بن عبد القوي البجائي الأصل: إنه أضر في آخر عمره وجزع في أول أمره جزعاً كثيراً ثم صبر واحتسب<sup>(٢)</sup>، ونال من الأجر ما طلب.

ومن أجلاء المشائخ أهل الإسناد والعلم الراسخ، شيخنا ولي الله تعالى ذو المؤلفات الحسان، قاضي قضاة الشافعية بالقاهرة كان، زين الدين أبو محمد زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري - نفع الله به وأعاد علينا من بركته -.

وكان إذا سمع قوله ﷺ «من أخذت كريمته في الدنيا لم أرض له من الآخرة إلا الجنة» يقول عقب سماع ذلك، رضيت بالجنة هنالك.

[٢٤-ب] وشيخنا العلامة مفتي الشافعية، وعين القراء بالديار المصرية، شرف الدين أبو الفضائل عبد الحق بن محمد بن عبد الحق السنباطي.

شيخ الإسلام، عين الشافعية بالشام، تقي الدين أبو بكر بن محمد قاضي عجلون الدمشقي.

بلديه مفتي الحنفية الآن عين الأعيان، قطب الدين محمد بن سلطان.

شيخنا خطيب المسجد الحرام، خاتمه المسندين الأعلام، محب الدين أحمد ابن الخطيب أبي القاسم محمد العقيلي النوي ري وهو كأبيه عمي في آخر عمره.

(١) ما ورد في النص السابق من نقاط متوالية يدل على أن اللفظ غير مقروء أو مقطوع في التصوير .

(٢) ابن فهد (النجم): الدر الكمين ١: ١٦٧.

شيخنا باليمن، علامة الزمن جمال الدين محمد بن علي الشهير بابن الصائغ الزبيدي الشافعي.

ومن المشايخ المعتقدين، المشهورين بالولاية عند المسلمين، السيد الشريف، قطب اليمن المعظم المنيف، أبو بكر بن عبد الله الحبشي الملقب بالعيدروس، وهو بلغة أهل حضرموت الأسد الذي لا يغالب ولذلك بلغ ما أحب. وقد اجتمعت به في بلد عدن من بلاد اليمن سنة أربع عشر وتسعمائة [٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م] ولا حظني ببركته، وشملني بدعوته.

وكذلك بالقاهرة ذو الأوصاف الفاخرة [٢٥-أ] الولي المشهور، الذي هو بالكرامات المذكور، الشيخ عبد القادر الدشطوخي البهنساوي. كما ذكره شيخنا الحافظ السخاوي في ضوئه<sup>(١)</sup>، وقد توفي بعده بنحو عشرين سنة، عام أربع وعشرين وتسعمائة [٩٢٤ هـ / ١٥١٨ م] وكان عمي قبل موته بعشر سنين، كما أخبرني به بعض جماعته المعتبرين، نفع الله بهم جميع المعتقدين.

وممن طرأ له العمى في آخر عمره، وهو مقيم بمكة الشيخان العالمان الصالحان المعمران العلآن، أولهما اسمه عبد الوهاب بن محمود الكرمانى الشافعي ويُعرف بصهر الإمام الطبري<sup>(٢)</sup>، المتوفي ثاني أيام التشريق بعد عودته من منى بمكة سنة تسع وعشرين وتسعمائة [٩٢٩ هـ / ١٥٢٣ م] ودُفن بالمعلاة وقبره يزار بها.

وثانيهما اسمه محمد وعلي بن شهاب الدين أحمد بن قاضي خان الهندي النهروالي الحنفي، والد صاحبنا الشيخ قطب الدين، أحد الأفاضل المعتبرين، وكان غائباً عنه في القاهرة عشر سنين وعاد إليه وحضر وفاته بمكة عام تسع وأربعين وتسعمائة [٩٤٩ هـ / ١٥٤٢ م]، فعدّ ذلك من سعادته وصلاح والده، نفع الله به. [٢٥-ب] وكذا والد مؤدبي الحافظ للقرآن، الشيخ المعمر الجنان، والمخبر لمن يقصده بالإعانة، والعارف في الإسلام بالكهانة، شمس الدين أبو أحمد محمد بن مخراق البصري الهذلي. والحافظ لكتاب الله الجليل الأوحى المبارك الأصيل نور الدين أبو الحسن علي بن عيسى بن علي بن محمد ابن شيخ الصوفية. وقاضي الشافعية بزبيد شهاب الدين أحمد الشهير

(١) السخاوي: الضوء اللامع ٤: ٣٠٠ - ٣٠١.

(٢) نفس المصدر ٥: ١١٤.

كسلفه بالرداد القرشي البكري. وختمت به لكونه من ذرية أبي قحافة المذكور أولاً من الصحابة.

وغيرهم من المشايخ والأصحاب، والعلماء الأجاب، نفع الله بهم وأعاد علينا من بركتهم بمحمد وآله.

وأما العور فمضى منهم جماعة أول هذا الباب المذكور وشيئاً في بعضهم في أول الباب الثاني من كلام الشيخ أبي بكر الخوارزمي المشهور. وألف فيهم العلامة الصلاح الصفدي الشعور، بالعور<sup>(١)</sup>، ولم أطلع عليه. وقال الإمام عز الدين ابن الأثير في مؤلفه اللباب، في الأنساب، لرواة الحديث الأجاب: الأعور، بفتح الألف [٢٦-أ] وسكون المهملة وفتح الواو في آخرها الرائ، هذه اللفظة إنما تقال لمن ذهب إحدى عينيه. والمشهور به أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن عبد الله المستنلي الهمداني، توفي سنة خمس وستين ومائتين [٢٦٥ هـ / ٨٧٩ م] وأبو الفتح محمد بن عمر الشيزري السرخسي الأعور قتله الغز صبراً في رجب سنة ثمان وأربعين وخمسائة [٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م]. والحاتر الأعور من أصحاب علي رضي الله عنه وغيرهم مما سيأتي في الباب الثاني<sup>(٢)</sup>.

ومن المتأخرين من العلماء وشعراء الزمان، المقتدى بقولهم ونظمهم الآن، من فقد لعينه إحداهما، فحصل له السعادة بالجنة في فقدهما، المولى الأديب الأوحى الأريب علاء الدين علي ابن مليك الحموي - رحمه الله تعالى - وكان له ولي. وصاحبنا شيخ الأدباء العلامة الوصول، مادح المصطفى الرسول، في دواوين عديدة، ومؤلفات مفيدة، زين الدين أبو اللطف عبد اللطيف ابن الشيخ المقري أبي الحسن علي الأنصاري الشهير بالديرابي الشافعي نزيل الحرمين الشريفين، بلغه الله خبري الدارين، المشير لذلك في الزمن الغابر، ضمن قصيدة امتدح بها [٢٦-ب] بعض الأكابر، مطلعها:

لا تعذلي من فكري ومن سهري أساس ما بي دار الـ ذل والخـ ور

ومنها:

بالله بالله دعني إندي رجي لـ بالصفو عندي مشغول على الكدر

(١) طبع هذا الكتاب بتحقيق عبد الرزاق حسين، طبع عمان - الأردن - دار العمار، سنة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م.

(٢) ابن الأثير (عز الدين): اللباب، في تهذيب الأنساب، ١/٧٦.

لا أعت . ب الناس من أنثى ولا ذكرٍ  
وهل يميل إلى عتب على أحدٍ  
دع الهم . وموخذ في ما يسر وإن  
إذا تذكرتها م أشد فقت م من نفس . ي  
أواه راح . لة ثكل . ي م . من حرارته  
ومنها في المقصود:

لولا جميلك في أم القري بيدي تغامر الناس في فقري على عور  
وقوله أيضاً في المعنى معرضاً بأحول، وهو من يرى الواحد اثنين والاثنين أربعة،  
وهلم جرا في العدة، وفيه لطافة وإشارة إلى نفسه وهو:

يقولون لي يا أعور النجس لا تكن  
على واحد إن شئت رؤياك له اقتصر  
فما أنا . ت إلا أع . ور غير أحول  
كأحد . ول في الرؤيا يري اثنين أربعة  
ولا تقتصر إلا على الخير والدعة  
فلأحول التكرير والحمق والضعفة....<sup>(١)</sup>

[٢٧-أ] وفي صحيح البخاري في غزوة خيبر أنه ﷺ قال: «أين علي بن أبي طالب؟» فقالوا: يا رسول الله إنه يشتكي عينيه. قال: فأرسلوا إليه، فأتى به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع. وعند الطبراني من حديث علي رضي الله عنه قال: فما رمدت ولا صدعت منذ دفع إلي رسول الله ﷺ الراية يوم خيبر. وفي رواية لمسلم من طريق إياس بن أبي سلمة عن أبيه قال: فأرسلني النبي ﷺ إلى علي فجنت به أقوده أرمد فبصق في عينه وبرئ لوقتته.

وعند الحاكم من حديث علي رضي الله عنه فوضع ﷺ رأسه في حجره ثم بزق في راحتيه فذلك بها عيني. وعند الطبراني فما اشتكيتها حتى الساعة. وقال: دعا بي ﷺ فقال: «اللهم أذهب عنه الحرَّ والقرَّ». قال: فما اشتكيتها حتى يومي هذا.

يقول مؤلفه محمد جار الله وفقه الله: إن الأحاديث الشريفة، الواردة في شفاء عين علي - كرم الله وجهه - كلها صحيحة وحسنة طريفة، وهي كثيرة لا تحصى، لأن فضل الله وكرمه لا يستقصى.

(١) هنا ورقة أو ورقات مفقودة من المخطوط.

[٢٧-ب] ومنها أنه عليه السلام دعا علياً رضي الله عنه إليه فأتاه وبه رمد فبصق في عينيه، ودفع الراية يوم خيبر إليه ففتح الله تعالى عينيه. وقال في معنى ذلك، حسان بن ثابت رضي الله عنه هنالك:

وك . ان . ع . ي . أرم . د . الع . ين . يبتغي      دواءً . فل . م . يوج . د . ل . داه . مداوي . م  
ش . ف . ماه . رس . ول . الله . مذ . ه . بتف . لة      فب . ورك . مرق . م . أ . وب . ورك . راقب . م  
وقال . سد . أعطي . راي . لة . القوم . فارس . م      كم . م . أ . ش . جاعاً . في . الد . روب . محامد . م  
يد . ب . الإ . ل . ه . والإ . ل . ه . يحب . . . ه      به . يفت . ح . الله . الحص . ون . الأواقب . م  
فخ . ص . به . م . دون . البري . لة . كل . ه . م      علي . م . أ . وس . م . ماه . الول . م . ي . المراض . م

ثم قال شيخنا القسطلاني عقب كلامه الماضي، وأصيب سلمة بن الأكوع يوم خيبر أيضاً بضربة في ساقه فنفت فيها عليه السلام ثلاث نفثات فما اشتكاها قط. رواه البخاري، رحمه الله.

ونفت عليه السلام في عيني فديك رضي الله عنه وكانتا مبيضتين لا يبصر بهما شيئاً وكان وقع على بيض حية فكان يدخل الخيط في الإبرة وإنه لابن ثمانين سنة وإن عينيه لمبيضتان. رواه ابن أبي شيبه والبخاري والبيهقي والطبراني وأبو نعيم والله الحمد. انتهى<sup>(١)</sup>.

وقال شيخنا القسطلاني عنهما [٢٨-أ] ورحم الله الأديب شرف الدين الأبوصيري، لقد أحسن المقال حيث قال:

وكل آي أتى الرسل الكرام به م      فإنهم ما اتصلت م . ن . نوره بهم م  
وإنه شمسٌ فضل به م كواكبها م      تظهر ر وأنوارها للذاس في الظلم  
ثم وجدتُ بعض هذا في كتاب النجم الثاقب، في أشرف المناقب،<sup>(٢)</sup> للعلامة الأديب أبي الطاهر حسن بن عمر بن حبيب الحلبي الشافعي - رحمه الله تعالى - فصلاً لطيفاً في كلام الموتى والأطفال وإبراء ذوي العاهات من النساء والرجال، لنبيينا محمد المصطفى، زاده الله فضلاً وشرفاً، فحسن لي إيرادها في هذا التأليف ليتعظ به كل ذي طبع لطيف، وإن تكرر لي بعضه في ما تقدم فهو زيادة في الحكم. وقد شافهني به جماعة من

(١) القسطلاني: المواهب اللدنية، ٥٨١/٢.

(٢) حاجي خليفة: كشف الظنون ص ١٩٣٠.



المشايخ، أهل الإسناد والعلم الراسخ، أعلاهم العلامة المسند الخطيب البليغ الأجدد محب الدين بن أحمد بن أبي القاسم العقيلي النويري المكي الماضي هو وأبوه في العميان - تغمدهما الله بالرحمة والرضوان - عن الحافظ الكبير برهان الدين إبراهيم بن محمد بن خليل الحلبي الشافعي كتابة منها قال: أخبرني به مؤلفه - رحمه الله تعالى - فقال: [٢٨-ب] ومن معجزاته ﷺ أن الشاة المضلية التي بخير أهدتها له اليهودية فأخبرته بأنها مسمومة، وأن عاقبة الأكل منها مدمومة، فمات بشير بن البراء وهو أحد من أكل منها. وفي رواية أن ذراعها أو فخذها تكلم عنها. ثم إن اليهودية اعترفت بما عملت فأمر بها ﷺ فقتلت.

وأتي بسلام يوم ولادته فنطق بين يديه ﷺ شاهداً برسالته ولم يتكلم الغلام بعدها حتى شب، وليس ذلك بمستنكر بعد كلام الظنية والضبط. وانطلق مع الرجل الذي طرح ابنته بالوادي، فناداها باسمها فخرجت وهي مليبة تنادي. فقال: إن أحببت أن أردك علي أبويك فقد أسلما قالت: لا حاجة لي بهما، وجدت الله خيراً لي منهما.

وأما حياة الشاب الأنصاري الذي مات، وما دعت أمه العجوز العمياء من الدعوات وما ذكرت من هجرتها إلى الله ورسوله، فعن أسد نقل حديثها من لا يرتاب في منقوله. وتكلم ثابت بن قيس حين أدخل قبره، [٢٩-أ] فشهد له بالرسالة وذكر اسمه السامي قدره، وكان قتل باليمامة، تغمده الله بالرحمة والكرامة.

وتكلم أيضاً زيد بن حارثة بعد وفاته وذكر اسمه الكريم ورسالته المعظمة وبعض صفاته وسلم عليه بأفصح لسان. ثم عاد ميتاً كما كان:

تكلّم . ت الموتى بحض . رة أحمد د	وخاطبه في يوم مولده الطغل
وما ذاك بدع . أ بعد تكليم بعضهم	لعيس . سى كم لا وافى..... <sup>(١)</sup> والعقل
وقد أخذ . ر الرحم بن أن محم . دأ	على سائر الرسل الكرام له الفضل
هو المصطفى المختار والشاهد الرضى	هو المنعم الوه . اب والحكم العدل

وكان قتادة أسكنه الله بحبوبة جنته، قد أصيبت عينه يوم أحد حتى وقعت على وجنته فردّها ﷺ فكانت بعد أحسن عينيه.

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل ولعلها: النبأ.

وأصيب وجه أبي قتادة بقدح من القداح، فبصق على جرحه فما ضرب ولا قاح. وتشفع به إلى الله بعض العميان، وكشف عن بصره كشفاً عوضه عن الخبر بالعيان. وابن ملاعب الأسنة أهلكه استسقاء.....<sup>(١)</sup> عليه فشفي بحتوة من الأرض تفل عليها وجهها إليه. ولما أبيضت عينا فديك وذهب نظره [٢٩-ب] بصق في عينه ﷺ فارتد إليه بصره حتى كان يدخل الخيط في الإبرة، والقوم يرفعون إلى ثمانين حجة عمره. ورُمي كلثوم بن الحصين يوم أحد في نحره، فبصق فيه فبرئ بأمر من لا راد لأمره.

ولم تمد شجة عبد الله بن أنس، حين نفث عليها من شهد نبوته وأنس، وفي عيني علي نفث يوم خيبر، فأصبح رمده لم يكن شيئاً يذكر. شعر:

كف رسد ول الله ك . م أبرأت	عين ما وأجرت في الفلا من عيون
وكف رسد قديم مدنف صيرت	تحرك ما أسد قمه من سد ك ون
واسد آل فديكاً إن تشد ما أوفس ل	قتادة تظف . ر بسد . ر مصون
واعلم ب أن الصداق المجتبى	أصب ب من ه ذا عليه يهون

ونفث على ساق سلمة بن الأكوع من ضربة أصابها في يوم هو سمّاه يوم الرضع. وأصاب رجل زيد بن معاذ السيف فبرئت بنفث ببركته فذهب الحيف والخيف.

وانكسرت يوم الخندق ساق ابن الحكم فنفت فيها فبرئ مكانه ولم يحصل له ألم. واشتكى علي ثم صرفه برجله فلم يعد له ذلك الوجع من أصله. وقطع أبو جهل يد معوذ بن عفراء [٣٠-أ] يوم بدر، فبصق عليها وألصقها بإذن من شرح له الصدر.

وضرب حبيب على عاتقه فتهذّل شقّه ومال، فنفت عليه وردّه إلى ما كان عليه قبل القتال. وبرئ صبي الخثعمية بضالة يديه، وعقل عقلاً كبيراً ببركته ﷺ.

وانكفأت القدر على ذراع من حاطب وهو صغير، فمسح عليه ودعا له فبرئ بوقته بإذن اللطيف الخبير. وكانت في كف شرحبيل<sup>(٢)</sup> سلعة منعتة القبض على السيف

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل.

(٢) هو الصحابي شرحبيل الجعفي ترجمه ابن الأثير في أسد الغابة ٣٩٠/٢. وذكر قصة السلعة التي كانت بيده.

وَضَيَّقَتْ ذِرْعَهُ فَمَا زَالَ يَطْحُنُهَا بِكَفِهِ حَتَّى ذَهَبَتْ وَزَالَ أَمْرُهَا بِبِرْكَةِ يَدِهِ الَّتِي كَمْ أَبْرَأَتْ  
وَكَمْ وَهَبَتْ.

وإِبْرَاءٌ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ ذِي جَنَّةٍ وَذِي وَصَبٍ، وَكَمْ أَبْرَأَ أَخَا مَسٍّ فَصَكَ فِي صَدْرِهِ إِلَّا  
ذَهَبَ. شعر:

يَا مَنْ لَمْ يَلِ الرُّتْبَ الْعُلْيَا وَالْحَسْبُ بِ      يَا مَنْ حَوَى شَرْفَ الْمَغَارِسِ وَالنَّسَبِ  
دَعَوَاتِ كَالْتِ . . . يَنْمُو . . . تَبَرَكَاتِهَا      كَمْ أَذْهَبَتْ مَا كَانَ يُفْضِي لِلْغَضَبِ  
مِنْ ضَرْبٍ . . . عَنَدَ الذِّزَالِ وَطَعْنِهِ      يَأْتِي وَمِنْ مَسِّ يُصِيبُ وَمِنْ وَصَبِ  
أَنْتَ الَّذِي بَلَغَ الْمَدَى مِنْ عُدْمِ مَنْ      خُذْ دَامَ سُدَّتْكَ الشَّرِيفُ . . . لَةَ وَالْأَرْبِ  
صَلَّى عَلَى كَمَدٍ رَاكِدٍ وَأَنْ مَا      ظَهَرَ الضِّيَاءُ مِنْ الْغَدَاةِ أَوْ احْتَجَبِ  
انتهى كلام الأديب ابن حبيب في مؤلفه المسمى النجم الثاقب، في أشرف المناقب.

[٣٠-ب] ثم ظفرتُ بعد هذا بكتاب لطيف للمهتدي بخط الإمام الحجة أبي المظفر عمر  
بن الوردي في المعجزات، لسيد السادات، من الشفاء لذوي العاهات، ولعله مختصر شفاء  
الصدور، في إيضاح البيان، من كشف حقائق البرهان، في أعلام نبوة الرسول الباهرة، وما  
حباها الله به من الكرامات، وأظهره على يديه من المعجزات الخارقة للعادات، وما  
أخبر به من الغيوب في الحال، وما كان وما يكون في المآل، تأليف العلامة أبي الربيع  
سليمان بن سبع ذي الفضل المربع فذكر منها.

١- حديث عَيْنِ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ، وَمَا وَقَعَ فِي رَدِّهَا مِنَ الْبَيَانِ، مَعَ إِنْشَادِ الْبَيْتَيْنِ  
الْمَاضِيَيْنِ فِي بَعْضِ أَوْلَادِهِ لَمَّا وَفَدَ عَلَى عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِقَضَاءِ مَرَادِهِ مَعَ زِيَادَةِ  
أَلْفَاظٍ فِيهِمَا، وَرَدَّهُ عَلَى قَائِلَتِهِمَا بَيْتٍ بَعْدَهُمَا وَلَفْظُهُ. رَوَى أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ عَمَرَ بْنَ عَبْدِ  
الْعَزِيزِ حَاجَةَ عَظُمَتْ عِنْدَهُ فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ حَتَّى تَسْتَوْجِبَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ؟ فَقَالَ:

أَنَا ابْنُ الَّذِي سَمَّيْتَهُ عَلَى الْخَدِّ عَيْنَهُ      فَرَدَّتْ بِكَفِّ الْمَصْطَفَى أَحْسَنَ الرَّدِّ  
فَعَادَتْ كَمَا كَانَتْ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ      فَيَا أَحْسَنَ مَا عَيْنُ وَيَا طِيبَ مَا يَدُ  
فَقَالَ لَهُ عَمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

[٣١-أ] وَتَلَّكَ الْمَكَارِمَ لَا قُغْنَانَ مِنْ لَبَنِ      شَدَّ يَبَا بِمِ . . . مَا فَعَلَ مَا دَا بَعْدَ أَبِي وَالْأَلَا<sup>(١)</sup>

(١) وردت القصة كاملة في كتاب أسد الغابة لابن الأثير، ٤: ١٩٦.

ومنها ٢: أن عبد الله بن أنيس ضرب رجل بسر بن زرارم اليهودي فقطعها وشجّ هو وجه عبد الله شجة مأمومة، فلما قدم على رسول الله ﷺ بصق في شجة عبد الله فلم تؤذه حتى مات، رحمه الله.

ومنها ٣: أنه أصيبت ساق سلمة بن الأكوع بضربة يوم حنين فأتى رسول الله ﷺ فنفت فيها ثلاث نفثات، فما اشتكى ساقه بعد ذلك.

ومنها ٤: أن غلاماً من بني سلامان بن سعد ابيضت عيناه فجاء به أبوه أو خاله إلى رسول الله ﷺ فنفت عليه الصلاة والسلام في عينيه فأبصرتا، وكان يدخل الخيط في الإبرة وهو من أبناء ثمانين سنة.

ومنها ٥: أن امرأة أتت رسول الله ﷺ بابن لها صغير أخرس فقالت: يا رسول الله ابني وواحد وبقية أهلي لا يتكلم، فدعا بماء فغسل يديه وتمضمض ثم سقى الغلام فتكلم وخرج أفصح من قومه لساناً وعقلاً.

ومنها ٦: أن امرأة شكت إلى رسول الله ﷺ جنون ابن لها وقدمته إليه فمسح صدره وتفل في فيه له [٣١-ب] ودعا له فسل الصبي وخرج من جوفه شيء أسود وبرئ من ساعته.

ومنها ٧: أن رجل عمرو بن معاذ قطع يوم بدر وكادت تسقط فتفل فيها رسول الله ﷺ وبرئت في الحال.

ومنها ٨: أن رسول الله ﷺ تفل على عتبه بن فرقد وكان أصابه الشرى<sup>(١)</sup> فبرئ من ساعته، وكان شم من يديه رائحة الطيب بقية عمره.

ومنها ٩: أن بنت المخلل العامرية كانت تطبخ طبيخاً فقامت تحمل الحطب فمدّ ابنها محمد بن حاطب يده إلى القدر وهو طفل والقدر يفور فكفأ على يديه فانطمستا، فلما رآته على تلك الحال جزعت وجاءت به إلى رسول الله ﷺ فمسح رأسه وتفل على يديه فبرئ في الوقت.

ومنها ١٠: أن أبا رهم الغفاري رمي بسهم يوم أحد فوقع في نحره، فبصق عليه رسول الله ﷺ فبرئ مكانه، وكان أبو رهم يسمى المنحور<sup>(٢)</sup>.

(١) الشرى: مرض جلدي يتمثل في بثور حمراء.

(٢) ابن الأثير (عز الدين): أسد الغابة ٤: ٢٥٠؛ ٥: ١٩٧.

ومنها ١١: أن مشركاً أتى رسول الله ﷺ [٣٢-أ] فقال: يا محمد إن بي أذرة<sup>(١)</sup> وبلغني أنك طبيب فعالجني.

فقال: ما أنا بطبيب، ولكن إن شئت دعوت لك ربي فأتني بطست من ماء فأتاه به فحساه ثم مَجَّ فيه، فقال: اذهب فانتضخ به بيديك ففعل، فغلبته عينه فانتبه في السحر، فذهب يلتمس ذلك فإذا هو مثل الحشفة، فأسلم.

ومنها ١٢: أن رسول الله ﷺ نزل ماءً لبكر بن وائل فاجتمع إليه أهل الماء وقدموا طعاماً وقصدوا معه يأكلون ومنهم رجل شاب يأكل بشماله، فقال رسول الله ﷺ: «كل بيمينك» قال الشاب: يا رسول الله إن يميني كسرت بالأمس وقد شددت بالجوائر. فحلها ﷺ ومسح يمينه بيده وقال: كل فأكل بيمينه، ولم يَبْنُ في يمينه أثر قط.

ومنها: (٢) أن ف راس بن عمرو أصابه صداع شديد فجاء به أبوه إلى النبي ﷺ يستشفه، فدعا رسول الله ﷺ فراساً فأجلسه ثم أخذ بجلدة ما بين عينيه فزال عنه الصداع في الوقت، ونبت في مواضع أصابع رسول الله ﷺ شعرات. فلما خرج الخوارج بحُرُورَاءٍ أُخْرِجَ فيهم [٣٢-ب] فسقطت تلك الشعرات النابتة، فتاب واستغفر ربه فعادت كما كانت.

ومنها ١٣: أن حنظلة بن حنيفة ورِمَ وجهه في صغره فجاء به أبوه إلى رسول الله ﷺ فقال: أدع الله له. فأخذ رسول الله ﷺ يده فقال «بارك الله فيك» ودعا له فزال عنه الورم. فكان حنظلة يؤتى بالرجل الوارم وجهه أو الوارم وجهها فيمر يده على موضع الورم فيبرأ في الوقت ببركته ﷺ.

ومنها ١٤: أن امرأة أتت رسول الله ﷺ بآبن لها أقرع فمسح رأسه فزال عنه القرع ونبت شعره. ورُوي أنه ﷺ مسح يده على رأس أقرع فنبت شعره، وسمي القلب.

ومنها ١٥: أن رجلاً من جُهينة كان يقطع من الجذام ويبرم منه أهله، فجاء إلى رسول الله ﷺ وشكا إليه ما ابتلي به، فأخذ قدحاً من ماء وتفل فيه. وقال له: امسح به جسديك. ففعل وبرئ وصار أصحَّ من في عشيرته.

(١) الأذرة: مرض يصيب أسفل الرجل.

(٢) سقط هنا ترقيم الرواية في المخطوط.

ومنها ١٦: أن رسول الله ﷺ خطب إلى الحارث بن عوف ابنته فقال: [٣٣-أ] لا أرضاها لك فإن بها سوءاً، فقال عليه الصلاة والسلام «ليكن ذلك» فرجع إلى منزله وقد برصت، وكانت تُعرف بعد ذلك بأُم شبيب البرصاء. قال الشاعر فيها.

م ن مبل . غ فتية ان م . رة أن م وجدنا بذ ي البرصاء من ولد الظهر

ومنها ١٧: أن معاذ بن عفراء تزوج امرأة فقيل لها: إن بجنبه برصاً فكرهت أن تُزفَ إليه، فجاء معاذ إلى النبي ﷺ وشكا إليه ذلك فقال النبي ﷺ «اكشف لي عن جنبك» فكشف له عن جنبه فمسح رسول الله ﷺ بعُودٍ فذهب البرص عنه.

ومنها ١٨: أن عمر بن عمرو بن الجموح انتهى إلى أبي جهل يوم بدر فضربه بسيفه فوقعت الضربة بمرفق حفص بن المغيرة فتعلق بجلده وكاد أن يبين من جسده فوضعه تحت رجله وتمطى عليه ليقطعه، فقال له أخوه: مهلاً حتى تأتي رسول الله ﷺ فأتاه فأعادته في مكانه وتفل عليه فالتحم في الوقت. وكان يقول: إنها لأقوى يديه.

ومنها ١٩: أن أبا براء ملاعب الأسنة كان أصابته دبيلة<sup>(١)</sup> أشرفَ منها على الموت [٣٣-ب] فأنفذ لبيد بن ربيعة إلى رسول الله ﷺ وأنفذ إليه فرسين ونجائب وسأله أن يستشفى له من دبيلة في بطنه، فلم يقبل رسول الله ﷺ هديته وأخذ مدرة من الأرض فتفل فيها ثم قال: دقها بماء واسقه إياها. ففعل ذلك فشفي من ساعته. وقام كأنما نشط من عقال، فأسلم أبو براء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومنها ٢٠: ما روي عن رافع بن خديج أنه قال في النُّصل الذي بقي في لبتة لما رُمي بسهم، أن النبي ﷺ مسحه بيده، وتفل عليه فلم يكسر في لحمي غير أنه تدبر في رأس الحول.

ومنها ٢١: ما روي عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد أن قتل مسعدة في غزوة الغابة وبشر النبي ﷺ بقتله. فقال له: «اللهم بارك له في شعره وبشره، ثم قال: ما هذا الذي بوجهك؟ قلت: سهم أصبت به يا رسول الله، قال: فادنُ مني فدنوتُ منه فبصق عليه فما ضرب عليه قط ولا فاح»، فمات أبو قتادة وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمسة عشر سنة.

(١) الدبيلة: دُمْلٌ داخلي يصيب الإنسان .

ومنها ٢٢: أن رسول الله ﷺ لما هاجر [٣٤-أ] إلى المدينة خَلَفَ عَلِيًّا بِمَكَّةَ لِيَحْمِلَ أَهْلَهُ إِلَيْهِ فَلَحِقَ بِهِ رَاجِلًا يَسِيرُ لَيْلًا وَيَحْمَنُ نَهَارًا، فَلَمَّا أَتَاهُ رَأَى مَا بَرَجَلِيهِ مِنَ الْوَرَمِ وَالشَّقَاقِ وَكَانَتَا تَقْطُرَانِ دَمًا، فَتَفَلَّ عَلَى يَدِهِ وَمَسَحَ رَجْلِيهِ فَقَامَ فِي الْوَقْتِ، وَلَمْ يَشْكُ رَجْلِيهِ.

ومنها ٢٣: أن امرأة جاءت معها عكة سمن ومعها بنت فقالت: يا رسول الله ولدتُ هذه كَمْهَاءَ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عوداً ومسح به عينيها فأبصرتا.

ومنها ٢٤: قصة الطفيل بن عمرو الدوسي لما قدم المدينة للإسلام وأراد الرجوع لقومه طلب الدعاء لإعانتهم عليهم. فقال ﷺ، «اللهم اجعل له آية توضح بها حجتك». فلما كان بثنية تَطْلُعُهُ عَلَيْهِمْ وَقَعَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ نُورٌ مِثْلُ الْمَصْبَاحِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ فِي غَيْرِ الْوَجْهِ، فَإِنَّ الْقَوْمَ إِذَا رَأَوْني ظَنُّوا أَنَّهَا مُثَلَّةٌ انْقَلَبَتْ بِهَا لِمَفَارِقَتِي لَدِينِهِمْ. فَتَحَوَّلَ ذَلِكَ النُّورُ عَلَى سَوْطِهِ مِثْلَ الْقَنْدِيلِ الْمَعْدُوقِ. وَسَأَلُوهُ عَنْ شَأْنِهِ فَأَخْبَرَهُمْ وَأَسْلَمُوا وَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَشَهِدُوا مَعَهُ فَتَحَ مَكَّةَ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ:

رَأَيْتَ عَلَامَةً . . . وَاللَّيْلُ دَاجٍ عَلَى ظَهْرِ الطُّرُوسِ<sup>(١)</sup> كَضَوْءِ بَرْقٍ  
عَلَامَةً . . . أَحْمَدُ إِرْسَ . . . مَالِ رَبِّي فَكَانَتْ آيَةً مَصْدَاقِ صَدَقِي

[٣٤-ب] وألقى الأسود العنسي أبا مسلم عبد الله بن ثوب في النار فلم بضره. وقالت جارية لأبي مسلم: لا زالت أعجن السم في طعامك فما أراه بضرك. قال: إني كنت أقول إذا أردت أن أكل بسم الله خير الأسماء الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء.

ومنها ٢٥: أن رجلاً أعمى أتى النبي ﷺ فقال: «أني أصبت في بصري فادع الله لي، قال: أو أدعك. قال: ادع الله لي. قال ﷺ أو أدعك. قال: أدع الله لي. قال ﷺ: أو أدعك. قال: ادع الله لي يعني ثلاثاً، قال: فتوضأ ثم صلى ركعتين وقال: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بالنبي محمد نبي الرحمة. يا محمد أستشفع بك إلى ربي في رد بصري. اللهم شفني في بصري وشفع نبيي في. فرد الله عليه بصره. قال: وإن كانت لك حاجة فافعل مثل ذلك.

(١) وردت الكلمة بالأصل: الطرس، والإصلاح مقترح.

ومنها ٢٦: أن النابغة الجعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنشد النبي ﷺ وقال:

بلغنا الس ماء مجدنا وجدودنا وإنا نلرج و فوق ذلك مظهرها

فقال النبي ﷺ «إلى أين؟ قال: إلى الجنة. قال: إن شاء الله». ثم قال:

ولا خير في حلم إذا لم يكن له ب وادر تحمي صفوه أن يُكدرًا  
[٣٥-أ] ولا خير في أمر إذا لم يكن له حلیم إذا ما أورد الأمر أصدرًا

فقال: «أحسنت يا أبا ليلى لا يفضض الله فاك». قال فأتى عليه أكثر من مائة سنة وكان من أحسن الناس ثغراً.

ومنها ٢٨: أن عمران بن الحمق<sup>(١)</sup> الخزاعي سقى رسول الله ﷺ فقال: «اللهم أمتع به شبابه» فمرت له ثمانون سنة لم ير شعرة بيضاء.

ومنها ٢٩: أن زبيدة كانت أسلمت وكان مولاها أبو جهل يعاقبها بكل نوع من العذاب لترتد عن الإسلام وكانت تأبى فاشتراها أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأعتقها فعميت عنده. فقال لها أبو جهل: كيف رأيت تضييع اللات والعزى بك لما تركت دينهما؟ فدعا لها رسول الله ﷺ فرد الله عليها بصرها.

ومنها ٣٠: أن النبي ﷺ دخل على بعض أزواجه وبين إصبعين من أصابعه بثرة فقال: هل من وزيرة؟ قالت فأشد بها موضعها عليها وقال: «اللهم مكبر الصغير ومطفئ الكبير اطفئها عني فطفيت بإذن الله تعالى».

ومنها ٣١: أن رسول الله ﷺ كتب إلى بني حارثة بن عمرو بن خوط يدعوهم إلى الإسلام فرقعوا بكتابه دلوهم فقال لهم: ذهب الله بعقولهم. قال: فهم أهل رعدة وعجلة وكلام مختلط وأهل سفه [٣٥-ب] فنعوذ بالله من الضلالة، ونسأله العافية والسلامة في كل حالة، ببركة المظلل بالغمامة، الشفيع يوم القيامة، ﷺ، وشرف ذكره ومجد وعظم.

ومما يلحق بهذا الباب ما سُمع من دعوات الأصحاب ومنها: يقال: لما أخبر عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أهل العراق حصَّبوا أميرهم قال: اللهم إنهم قد لبَّسوا علي قلبس

(١) كذا بالأصل، ولعل المقصود هو الصحابي عمران بن الحصين الخزاعي الذي وردت ترجمته عند ابن الأثير (عز الدين) في أسد الغابة ٤: ١٣٧ - ١٣٨.



عليهم وعَجَلَ عليهم بالغلام الثَّقَفِي - يعني به الحجاج بن يوسف - يجيء بحكم فيهم بحكم الجاهلية، لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم. فأجاب الله دعوته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ورُوي أن رجلاً دخل على عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الدار فلما دنا منه خرجت امرأته فأقبل عليها فطمها فنظر إليه عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: مالك سلب الله يدك ورجليك وأعمى بصرك وأدخلك باب جهنم. فرأى الرجل أعمى مقطوع اليدين من الكفين والرجلين من الحقييين.

ويُروى أن رجلاً حدّث علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بحديث فقال: ما أراك إلا كذبتني قال: لم أفعل. قال: أدعو الله عليك إن كنت كذبت قال: ادع، فدعا عليه فما برح حتى عمي.

ورُوي أن علياً - كرم الله وجهه - مرّ على دار رجل من مراد [٣٦-أ] وهم يبنونها فسقطت عليه قطعة فشجّته. فدعا الله - عز وجل - أن لا يكمل بناءها، فما وضعت عليها لبنة بعد ذلك.

وأصاب سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالقادسية خراج فلم يشهد يوم فتحها فقال رجل من بجيلة:

ألم تـ . . ر أن الله أظهر دينه      وسعد بباب القادسية معصم  
فأبنا وقد أيمت نساء كثيرة      ونسوة سعد ليس فيهن أيم

فقال سعد: اللهم أكفنا يده ولسانه، فرمي فخرس ويبست يده.

وسمع رجلاً من أهل الشام أحمر أزرق العين يشتم الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ويتناول أبويه، فغضب سعد واستقبل القبلة ورقع يده وقال: إنه شتم امرءاً صالحاً وامرأة صالحة اللهم فأر المسلمين فيه عبرة يتعظون بها. قال: فوالله ما برح الرجل حتى زَمِنَ.

ورُوي أن سعداً خطبهم بالكوفة ثم قال: يا أهل الكوفة أي أمير كنت لكم؟ فقام رجل فقال: اللهم إن كنت ما علمتك، لا تعدل في الرعية، ولا تقسم بالسوية، ولا تعدل في السرية. فقال سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اللهم إن كان كاذباً فأعم بصره وعجل فقره وعرضه للفتن [٣٦-ب] قال: فما مات حتى عمي، وكان يلتمس الجدران، وافتقر حتى سأل الناس، وأدركته فتنة المختار. وكل ذلك ببركته ﷺ لأنه دعا لسعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأن تجاب دعوته ويُكرم.

وعن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه أن أروى خاصمته في أرض. فقال: «إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول «من أخذ شبرا من الأرض طوّقه الله إلى سبع أرضين يوم القيامة» وقال: اللهم إن كانت كاذبة فأعْمِ بصرها واجعل قبرها في دارها. فعميت فبينما هي تمشي في الدار وقعت في بئر دارها فكانت قبرها.

وروي أن رجلاً راح إلى مسجد رسول الله ﷺ فرأى امرأة فأعجبته فقال: اللهم إن جعلت بصري عليّ نعمة وخشيتُ أن يكون نقمة، اللهم اقبضه. قال: فإذا هو أعمى. وكان له ابن أخ يقوده إلى المسجد فأتى به إلى المسجد يوماً وانصرف عنه فناداه الشيخ فلم يجبه ثم تحرك بطن الشيخ فقال: اللهم إنك جعلت بصري عليّ نعمة وخشيتُ أن يكون نقمة وسألتُ قبضه ففعلتُ وإني أخاف الفضيحة في يومي هـ ذا، [٣٧- أ] فإذا هو مفتوح العينين. قال مالك: رأيتُه صحيح العين ثم رأيتُه أعمى ثم رأيتُه صحيحاً.

وروي عمرو بن مرة الجهني قال: قلتُ لرسول الله ﷺ ابعتني إلى قومي لعل الله أن يمنّ عليهم بي كما منّ بك عليّ، فبعثني فدعوتهم فأجابوا إلّا رجلاً واحداً فإنه قال: يا عمرو بن مرة أمر الله صدرك، أتأمرنا بمخالفة دين آبائنا؟ فقال له عمرو: الكاذب مني ومنك. فأمر الله عينيه وأبكم لسانه وأكَمَّه إنسانه. قال: فوالله ما مات حتى سقط فوه فما كان يقدر على الكلام، وعمي واحتاج.

ويقال إن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار يُكنى أبا معلق وكان يتجر بمال له ولغيره يضرب في الآفاق، وكان ناسكا فخرج مرة فلقية لصّ مقنّع في السلاح فقال له: ضع ما معك فإني قاتلك. قال: ما تريد إلّا دمي؟ شأنك بالمال، قال: أما المال فلي فلست أريد إلّا دمك. قال: إذا أبيتَ فذرني أصلي أربع ركعات. وكان من دعائه في آخر سجدة أن قال: يا ودود، يا ذا العرش المجيد، يا فعال لما يريد، أسألك بعزك الذي لا يُرام [٣٧-ب] وملكك الذي لا يُضام، وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيني شر هذا اللص. يا مغيث أغثني ثلاث مرات. قال: فدعا بها ثلاث مرات فإذا هو بفارس قد أقبل بيده حرباً واضعها بين أذني فرسه، فلما بصر به اللص أقبل نحوه فطعنه فقتله. ثم أقبل إليه فقال: قم. قال: من أنت بأبي أنت وأمي فقد أغاثني الله بك؟ قال: أنا ملك من أهل السماء الرابعة لما دعوت الله تعالى بدعائك الأول سمعتُ لأبواب السماء ضجيجاً، ثم دعوت بدعائك الثالث فقبل لي دعاء مكروب، فسألت الله عز وجل أن يوليني قتله.

وروي عن الشعبي عجباً في استجابة الدعاء بفناء الكعبة بأدعية مستجابة عن بعض الصحابة والتابعين، قدمتها مختصرة بيقين، وهي: عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وأخيه مصعب وعبد الملك بن مروان - رحمة الله عليهم - في كل وقت وأوان. ومنها دعاء ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهو آخِذٌ بِالرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ رَحْمَانٌ رَحِيمٌ أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي سَبَقَتْ غَضَبَكَ وَأَسْأَلُكَ [٣٨-أ] بِسُتْرِكَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ أَنْ لَا تَمِيتَنِي مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تَوْجِبَ لِي الْجَنَّةَ. قال الشعبي: فما ذهبت عينا من الدنيا حتى رأيت كل رجل منهم قد أعطي ما سأل، وبُشِّرَ عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِالْجَنَّةِ، يعني بفقد بصره كما تقدم. والله تعالى أعلم.

يقول مؤلفة غفر الله زلته، ووفقه وثبته، فليعلم كل واقف على هذا المؤلف أن هذه الآيات الظاهرة كلها فاخرة، ودلائلها ظاهرة، وهي أكثر من أن تُحصى، لأن فضل الله لا يُستقصى. وقد توسلتُ بالنبي المختار، وما رويته عنه من الأحاديث والآثار، وكذا عن الصحابة السادة الأخيار، أن يكفيني شر الجهلة الفُجَّار، لما نسبوا إليّ في هذا التأليف من البهتان والإفك والعار، وقصدوا به أخذ الثَّار، أذاقهم الله حرَّ النار، وخذلهم ونصرني عليهم طول الأعصار، وعافاني من البلاء والمحن، في كل وقت وزمن، إنه بالآمال كفيل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

[٣٨-ب] الباب الثاني: في الحادث للإنسان من العرض كالغور الحول الصلغ القرح البرص وعدة من العاهات والمرض.

ذكر العلامة الأستاذ فقيه بغداد أبو بكر الخوارزمي الحنفي - رحمه الله تعالى - وعاملني وإياه بلطفه الخفي في كتابه مفيد العلوم في الباب الثالث عشر في العاهات التي حصلت للأكابر وحالهم فيها غير خفي. منهم رؤساء البصرة كانوا أربعة وهم عوراً: أحنف بن قيس، والمهلب بن [أبي] <sup>(١)</sup> صفرة، ومالك بن مسمع، وعبيد الله بن معمر.

ومن قبلهم أبو لهب الهاشمي وأبو جهل بن هشام المخزومي وأبان بن عثمان بن عفان الأموي وزيايد بن أبيه وأبو بردة بن [أبي] <sup>(٢)</sup> موسى الأشعري كانوا حولاً.

(١) كلمة سقطت في الأصل.

(٢) كلمة سقطت في الأصل.

والصلح: عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وعُتْبَةُ بن أبي سفيان وعمر بن عبد العزيز، رحمة الله عليهما.

والعُزْج: أبو طالب ومعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وعبد الله بن جدعان والحارث بن أبي شمر الغساني وعمرو بن الجموح وعبد الحميد بن عبد الرحمن وسليمان بن عبد الملك [٣٩-أ].

والْبُرْص: جُدَيْمَةُ الأبرش الأزدي ويربوع بن حنظلة وضمرة بن ضمرة وأبيض بن امرئ القيس الكندي ودريد بن الصَّمَّة والربيع بن زياد والحسن بن قحطبة والحارث بن كلدة وزهير بن كعب، قام خطيباً في حرب بكر فضرط فقال: كل أبلق ضرط. وعمرو بن عبد الله بن عمرو بن وهب بن حذافة أسير يوم بدر فأطلقه النبي ﷺ وأخذ عليه أن لا يهجو، فعاد يوم أحد فأخذ ثانية فقال النبي ﷺ: «لا يلسع المؤمن من جحر مرتين» فأمر بضرب عنقه. وكانت قريش أخرجه من مكة مخافة العدوى فكان يكون في الليل في شُعْب الجبال وبالنهار يستظل بالشجر فشكى بطنه فأخذ مريه فوجأ به في معدته فسال الماء فبرئ برصه فقال في ذلك شعراً:

لأه . م رب واذ . ل ونه د      واليعة ملات والخيول الجُ رد  
ورب من س عى ب أرض نجد      م ن بعد م ا طعنت في م د  
أب رأّت مذ ي مرضا بجلدي      أصبحت عب . د لك وابن عبد

وأنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ روي أن علياً - كرم الله وجهه - سألته عن قول رسول الله ﷺ: «اللهم وال [٣٩-ب] مَنْ وَالَاه». فقال: كبر سنّي وأنسيّت. فقال: إن كنت كاذباً فرماك الله ببيضاء وضح لا توارىها العمامة. فبرص جلده<sup>(١)</sup>. انتهى.

يقول مؤلفه محمد جار الله، سامحه الله وعافاه وشفاه: لم أر هذا الخبر إلا كما هو هنا مسطر، لكنني قصدت تأييد وجود هذا المرض، لمن به عرض. كما ذكره الحفاظ في ترجمته لرجال الكتب الستة وغيرها. فقال فيها أحمد بن عبد الله العجلي: لم يبتل أحد من أصحاب النبي ﷺ إلا رجلين معيقب كان به هذا الداء الجذام وأنس بن مالك كان به وضح. وقال عمرو بن دينار عن أبي جعفر محمد بن علي: رأيت أنس بن مالك برص وبه وضح شديد ورأيت يأكُل فليقم لقماً كبيراً.

وقال الإمام البخاري في تاريخه: حدثنا عبد الله بن صالح قال: حدثنا الليث بن سعد قال: حدثني سعد قال: حدثني يحيى بن سهل عن أمه أنها رأت أو زارت امرأة كانت تحت أبيه صرة لها، فتزوجها بعد أبيه أنس بن مالك فنظرت إلى أنس مخلقا بالخلق وبه برص فقلتُ لها: هذا خير من سهل بن سعد وهو أكبر من سهل، فقال: إن رسول الله ﷺ دعا لي<sup>(١)</sup>. انتهى.

[٤٠-أ] يقول مؤلفه غفر الله له: ولقد صدق في ما نطق من الدعاء له بطول عمره وكثرة ماله وولده، كما هو ثابت في الصحاح، مع خدمته للنبي محمد سيد الفصحاء الملاح، ولقد بلغ من العمر مائة سنة وزيادة، وحصل له من المال والولد الكثرة والسعادة.

وقال العز ابن الأثير في أسد الغابة: إنه كان يخضب بالصفرة وقيل بالحناء وقيل بالورس وكان يخلق ذراعيه بخلوق للعبة بياض كانت به<sup>(٢)</sup>.

وقال شيخنا شيوخنا الحافظ أبو الفضل بن حجر في كتابه الإصابة: قال [أبو]<sup>(٣)</sup> عمر بن عبد البر: كان معيقيب الدوسي به الجذام وقيل البرص فعولج بأمر عمر بن الخطاب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقال العز ابن الأثير في أسد الغابة عن ابن مندة: إنه شهد بدمراً وكان على خاتم النبي ﷺ، واستعمله عمر بن الخطاب خازناً على بيت المال، وأصابه الجذام وأحضر له عمر الأطباء فعالجوه فوقف المرض. وهو الذي سقط من يده خاتم النبي ﷺ أيام عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بئر أريس فلم يوجد<sup>(٤)</sup>. انتهى.

[٤٠-ب] ثم أردف خبر أنس بن مالك الماضي الشيخ أبو بكر الخوارزمي أحد الثقات، بفصل في من اجتمع فيه عدة عاهات، هم أبان بن عثمان بن عفان أصم أبرص أحول مفدّ وج. أحنف بن قيس أعور متراكب سائل الذقن. أقرع بن حابس أصم أقرع الرأس أعور. عمرو بن عدس أبرص ولديه أفواه الكلاب. عطاء بن أبي رباح أسود

(١) البخاري: التاريخ الصغير (القسم الأول)، ص ٢٠٩.

(٢) ابن الأثير (عز الدين) أسد الغابة ١: ١٢٧.

(٣) ورد في الأصل: عمر بن عبد البر وهو خطأ صوبناه.

(٤) ابن الأثير (عز الدين): أسد الغابة ٤: ٤٠٢ - ٤٠٣.

أعور أفتس ثم عمي في آخر عمره. مسروق بن الأجدع أحذب أشل مفلوج. أبو الأسود الدؤلي أعرج أبخر مفلوج<sup>(١)</sup>. انتهى كلام الأستاذ أبو بكر الخوارزمي فقيه بغداد، رحمه الله تعالى وعفا عنه.

وقد نقل جميع ما ذكره جماعة من الفقهاء والعلماء النبهاء في تراجم من ذكر، وهو فيها مسطر، فليطلع عليها من له ذوق ونظر ويعتبر بها، ويعلم أن الله تعالى خالق لها.

وممن ذكرها من العلماء شيخنا خاتمة الحفاظ، وأوحد العلماء الأيقاظ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي - رحمه الله تعالى - فذكر في طبقات النحاة وتاريخ الخلفاء جماعة ممن هو بهم عالم، منهم أبو الأسود الدؤلي واسمه ظالم، [١٤-أ] وقال في ترجمة الإمام العادل عم ر بن عبد العزيز الأموي - رحمه الله تعالى - قال: قال الثعالبي في لطائف المعارف: وكان عمر أصلع وعثمان وعلي رضي الله عنهم ومروان بن الحكم وعمر بن عبد العزيز، ثم انقطع الصلع عن الخلفاء.

ثم قال شيخنا الجلال السيوطي أيضاً في ترجمة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أخرج ابن منيع والحاكم عن زر قال: خرجت مع أهل المدينة في يوم عيد فرأيت عمر رضي الله عنه يمشي حافياً شيخاً أصلع آدم أعسر يسير طويلاً مشرفاً على الناس كأنه على دابة. قال الواقدي: لا يعرف عندها أن عمر كان آدم إلا أن يكون رآه عام الرمادة فإنه كان تغير لونه حُمراً كل الوقت.

وأخرج ابن سعد عن ابن عمر أنه وصف عمر فقال: رجل أبيض تعلوه حُمرة طوال أصلع أشيب. وأخرج ابن عساكر عن أبي رجاء العطاردي قال: كان عمر رجلاً طويلاً جسيماً أصلع شديد الصلع أبيض شديد الحمرة في عارضيه خفة شيبته كثرة وفي أطرافها صهبة. انتهى.

وقال الإمام أبو نصر الجوهري في كتابه صحاح اللغة: الصلع هو الذي انحسر [١٤-ب] شعر مقدم رأسه، وموضعه الصلعة بالضم<sup>(٢)</sup>.

(١) الخوارزمي: مفيد العلوم، ص ٤٨٠.

(٢) الجوهري: الصحاح ص ١٢٤٤.

والقرع: الذي ذهب شعر رأسه من آفة وقد قرع فهو أقرع بيّن القرع، وذهب القرع من الرأس القرعة، والقوم قُرْعٌ وقُرْعَانٌ<sup>(١)</sup>. انتهى.

وقال الإمام مجد الدين ابن الأثير الشيباني في مؤلفه نهاية غريب الحديث ما ملخصه: الصلع: هي الأرض لا نبات فيها. وأصله من صلع الرأس وهو انحسار الشعر عنه. ويُجمع الأصل على صُلْعَانٍ أيضاً. ومنه حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنا أشرف الصلعان أو القرعان<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن الأثير أيضاً في قرع: وفيه لا تحدثوا في القرع فإنه مصلى الحافين. والقرع بالتحريك هو أن يكون في الأرض ذات الكلا مواضع لا نبات فيها كالقرع في الرأس. والحافون: الجن.

ومنه حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أعرابياً سأل النبي ﷺ عن الصليعاء والقرية فقال: «القريةاء أرض لعنها الله إذا أنبتت أو زرع فيها في حافتها لا ينبت في متنها شيء».

وفيه نهى عن الصلاة على قارعة الطريق، وهي وسطه وقيل أعلاه. والقارعة: الداهية<sup>(٣)</sup> والآيات. انتهى ملخصاً عن الثقات.

يقول مؤلفه غفر الله له: [٢٤-أ] وقد عدّ العلماء القرع والصلع من العاهات، وليس فيهما منقصة لأهل النهايات، كما وُصف من تقدم من الصحابة ذوي العناية، والفرق بينهما ظاهر في العبارات، لأن الصلع يحصل في مقدمة الرأس من غير علة، والقرع يحصل في وسط الرأس من علة. فظهر لي من هذا التعريف أن القرع يوصف بذلك في البداية وقت المرض، ثم يصير صلعاً إذا زال العرض. فلذلك وصفت به نفسي مع جماعة من أكابر بلدي في الصلعان وهم في الحقيقة قرعان فأقاموا عليّ النكير لأجلها وكوني ذكرتهم فيها، وتركتم حينئذ من الكلام بما لم يفدهم غير الملام. وقد ألف الإمام الجاحظ كتاباً في القرعان والبرصان والعرجان، ولم أطلع عليه الآن، ولم ينكره في زمانه واحد من العلماء الأعيان. وفي تأكيد الحال أنّ الصلع وصف الكمل من الرجال. ويوجد ذلك

(١) الجوهرى: الصحاح ص ١٢٦٢ (مع بعض اختلاف في النقل).

(٢) ابن الأثير (المبارك): النهاية في غريب الحديث والأثر ٣: ٤٦ - ٤٧.

(٣) نفس المصدر، ٤/٤٥. نقل بتصريف.

في الصالحين والأكابر المعترين بل المشايخ الأجلاء منهم: أبو الأسود الدؤلي وأبو عمرو بن العلاء، وقال ثانيهما في ذلك بيتاً يستشهد به الملاء هو:

وأنكرتني وم لا كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

[٢٤-ب] إلى غير هذا مما تقدم، والله تعالى أعلم.

وأبلغ منه في الموعظة رواية الحديث الجليل، المذكور في صحيح الإمام البخاري محمد بن إسماعيل، وهو حديث أبرص وأقرع وأعمى من بني إسرائيل. فقال البخاري في كتابه بدء الأنبياء: حدثنا عبد الله بن رجاء قال: أخبرنا همام عن إسحاق بن عبد الله قال: حدثني عبد الرحمن بن أبي عمرة أن أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حدثنا به أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى بدا الله تعالى أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لونٌ حسن، وجلد حسن، قد قَدَّرني الناس. قال: فمسحه فذهب، فأعطني لوناً حسناً وجلداً حسناً. فقال: أي المال أحب إليك؟ قال: الإبل: أو قال: البقر. هو شك في ذلك أن الأبرص والأقرع قال أحدهما الإبل وقال الآخر البقر. فأعطني ناقه عُشراء فقال: يبارك لك فيها.

قال: وأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: شعر ر حسن ويذهب عني هذا، وقد قَدَّرني الناس. قال: فمسحه فذهب وأُعطي شعراً حسناً. قال: فأني المال أحب إليك؟ قال: البقر [٢٤-أ] قال: فأعطاه بقرة حاملا وقال: يبارك لك فيها.

وأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: يرد الله إلي بصري فأبصر به الناس، قال: فمسحه فرد الله إليه بصره. قال: فأني المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاة والدأ. فأتت هذان وولد هذا وكان لهذا وادٍ من الإبل ولهذا وادٍ من البقر ولهذا وادٍ من الغنم.

ثم أنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين تقطعت به الحبال في سفره فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بغيراً أتبلغ عليه في سفري. فقال له: إن الحقوق كثيرة. فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيراً فأعطاك الله؟ فقال: لقد ورثتُ كابراً عن كابر. فقال له: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له



مثل ما قال لهذا. وردّ عليه مثل ما ردّ عليه هذا. فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت. وأتى الأعمى في صورته. فقال: رجل مسكين وابن سبيل، وتقطعت بي الحبال [٤٣-ب] في سفري، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي ردّ عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري، فقال: قد كنت أعمى فردّ الله عليّ بصري، وفقيراً فأعطاني الله، فخذ ما شئت، فوالله لا أحمذك اليوم لشيء أخذته الله تعالى. فقال: امسك مالك فإنما ابتليتم، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبك. انتهى<sup>(١)</sup>.

وذكر شيخنا العلامة الأمجد شهاب الدين أحمد الشهير بالقسطلاني - رحمه الله تعالى - في كتابه المواهب اللدنية، في المنح المحمدية، عند ذكر وفد التجعي على خير البرية، وهم أحد الوفود إليه، عليه السلام، وذلك في سنة إحدى عشر من الهجرة، وكان فيهم رجل يقال له زرار بن عمرو، «[قال: يا رسول الله إني رأيت في طريقي هذا رؤيا]<sup>(٢)</sup> قال له وما رأيت؟ قال: رأيت أتانا تركتها كأنها ولدت جدياً أسطع أحوى، فقال له رسول الله عليه السلام: هل تركت أمة مصرّة على حمل؟ قال: نعم، قال: فإنها ولدت غلاماً وهو ابنك. قال: يا رسول الله فأتان السفح أحوى. قال: أدن مني، فدنا منه قال: هل لك من برص تكتمه؟ قال: والذي بعثك بالحق نبياً ما علم به أحد [٤٤-أ] ولا أطلع عليه غيرك. قال: فهو ذلك».

ثم أعاد شيخنا القسطلاني هذه القصة بالتأني في تعبيره عليه السلام بشرح ما تقدم. وقال عقبها: فانظر إلى هذا التعبير البارز من مشكاة النبوة، محشواً حلاوة الحق، مكسواً طلاوة الصدق، مجلواً بأنوار الوحي. والأسفح: الذي أصاب جسده لون آخر كما في وصفه مرّ. والله تعالى أعلم. انتهى<sup>(٣)</sup>.

يقول مؤلفه، غفر الله له وسامحه في ما جناه ومرّ، ودفع عنه كل شر وضرّ: إن البرص عاهة غير محمودة فلذلك خافت به النبي عليه السلام صاحبه حتى أبلغه مقصوده.

وقد ورد في الحديث الشريف «إن المحتكر للطعام يضربه الله بالبرص والجذام» وهما مما يحترس منهما الأنام. وكان عليه السلام يحترس منهما ويتعوذ كما روينا في السنن

(١) القسطلاني: المواهب اللدنية، ٥٤٨/٣-٥٤٩.

(٢) ما بين عاقتين إضافة من المصدر المنقول عنه.

(٣) نفس المصدر، ٥٤٩/٣. والنص منقول بتصرف.

لأبي داود والنسائي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجَذَامِ وَالْبَرَصِ وَالْجُنُونِ وَمِنْ سَيِّئِ الْأَسْقَامِ». وَفِي الْغَالِبِ يَحْصُلُ مِنْهُمَا الْعَدْوَى وَالطَّيْرَةُ، [٤٤-ب] وَالْإِبْعَادُ مِنْ صَاحِبِهِمَا تَحْصُلُ بِهِ الْخَيْرَةُ. وَلِذَلِكَ رَوَيْنَا فِي الْقَوْلِ الْأَسَدَ «فَرُّ مِنَ الْمَجْذُومِ فِي رَارِكَ مِنَ الْأَسَدِ». وَقَدْ جُمِعَ بَيْنَ هَذَا الْحَدِيثِ وَحَدِيثِ «لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ»، جَمَاعَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ الْخَيْرَةِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْمَقْدَمَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِكُلِّ مَكْرَمَةٍ.

وَرَأَيْتُ فِي زَمَانِي مِنَ الْبَرَصَانِ، مِنْ لَا عِيرَةَ بِهِ الْآنَ، إِلَّا رَجُلَانِ مُسْتَوْرَانِ، أَحَدُهُمَا مِفْتِي دَارِ الْعَدْلِ بِالشَّامِ. وَثَانِيَهُمَا أَحَدُ الْأَعْيَانِ بِبَلَدِ اللَّهِ الْحَرَامِ، عَافَانِي اللَّهُ وَإِيَاهُمَا مِنْ ذَلِكَ، وَسَلَّكَ بِنَا أَحْسَنَ الْمَسَالِكِ. ثُمَّ قَصَدْتُ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الْبَرَصِ عَجَبًا وَهُوَ فِي كِتَابِ دُرَرِ أَنْبَاءٍ، نَجْبَاءِ الْأَنْبَاءِ، لِلْإِمَامِ الْحَافِظِ الْأَبْرَرِ، أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ ظَفَرٍ. فَقَالَ: دَرَّةُ زَيْنَ لَغْرَةٍ عَيْنٍ وَمُلْخَصَهَا.

حَكَى أَنَّ النُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذَرِ كَانَ مُعْجَبًا بِالرَّبِيعِ بْنِ زِيَادٍ الْعَبْسِيِّ وَكَانَ يَفِدُ عَلَيْهِ فَيُحَسِّنُ نَزْلَهُ وَيَجْزِلُ صَلَاتَهُ. فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَهُ وَفَدَ عَلَيْهِ وَفَدَ بَنِي جَعْفَرٍ مِنْهُمْ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ وَغَيْرُهُ مِنْ قَوْمِهِ. وَكَانَ الرَّبِيعُ يَسْخَرُ بِالْجَعْفَرِيِّينَ وَيَغْمِزُهُمْ عِنْدَ الْمَلِكِ النُّعْمَانَ [٤٥-أ] وَيَنْتَقِصُهُمْ بِحَضْرَةِ الْوَفُودِ، لَمَّا كَانَ بَيْنَ هَوَازِنَ وَغُطْفَانَ مِنَ الْعِدَاوَةِ. فَلَمَّ يَزِلْ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى صَرَفَ وَجْهَ الْمَلِكِ عَنْهُمْ. وَكَانَ مَعَ الْجَعْفَرِيِّينَ ابْنُ أَخِيهِمْ لُبَيْدُ بْنُ رَبِيعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرٍ وَهُوَ يَوْمُنْذُ غَلَامٌ يَتِيمٌ كَانَ أَبُوهُ قُتِلَ، وَكَانُوا يَخْلَفُونَهُ فِي رِحَالِهِمْ يَحْفَظُهَا وَيُرْعَى رَوَاحِلَهُمْ. وَكَانَ الْجَعْفَرِيُّونَ إِذَا رَجَعُوا إِلَى رِحَالِهِمْ يَتَشَاكُونَ مَا يَلْقَوْنَهُ مِنَ الرَّبِيعِ مِنْ سُوءِ مُحَضَرِهِ وَبِذْيِ لِسَانِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عِنْدَمَا ضَاقَ ذُرْعُهُمْ: ارْجِعُوا بِنَا إِلَى أَهْلِينَا وَلَا نَعْرِضْ أَحْسَابِنَا إِلَى هَذَا الْكَلْبِ يُضْحِكُ الْوَفُودَ بِنَا، فَسَمِعَهُمْ لُبَيْدٌ فَسَأَلَهُمْ عَنْ أَمْرِهِمْ فَقَالُوا لَهُ: خَالِكَ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ يُؤْذِنَا عِنْدَ الْمَلِكِ وَيُضْحِكُهُ مِنَّا وَيُضْحِكُ الْوَفُودَ بِنَا، وَكَانَتْ أُمُّ لُبَيْدٍ عَبْسِيَّةٌ مِنْ قَوْمِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ لَهُمْ لُبَيْدٌ: انْطَلِقُوا بِي مَعَكُمْ فَإِنِّي أَكْفِيكُمْ أَمْرَهُ، فَزَجَرَهُ أَعْمَامُهُ. فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي وَاللَّهِ لَا أُسْرِجُ لَكُمْ رَاحِلَةً وَلَا أَحْفَظُ لَكُمْ مَتَاعًا إِلَّا أَنْ تَنْتَلِقُوا بِي مَعَكُمْ. فَلَمَّا رَأَوْا الْجَدَّ مِنْهُ قَالُوا: نَبِيتَ وَنَرَى رَأْيَكَ. فَلَمَّا جَاءَ اللَّيْلُ جَعَلَ الْقَوْمُ يَرْمِقُونَهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ رَكِبَ [٤٥-ب] بَعْضَ رَوَاحِلِهِمْ وَهُوَ يَهْدُرُ كَمَا يَهْدُرُ الْفَحْلُ، ثُمَّ إِنَّهُ نَامَ بَعْدَ ذَلِكَ وَاسْتَيْقِظَ عَمَهُ طَفِيلُ بْنُ مَالِكٍ مَهْمُومًا، فَقَالَ

لعامر: انظر إلى ابن أخيك نائماً كأنّ عنقه عنق غزال، وأنت تريد أن تعرض عرضك للمفاضح من أجله. فأيقظه عامر وقال له: قم فانظر ما تلقى به الناس غداً فإنه مشهد عظيم. قال له لبيد: يا عم، إن لم يكن عندي بديهة، فما عندي غيرها. فلما أصبحوا قال له عامر وطفيل: ألا نبلوك بشيء؟ قال: بلى، فقالا: صف لنا هذه البقعة وهي نابتة بين أيديهم في الأرض. فوصفها لهم بأوصاف ذميمة، أقر الله بها قلوبهم السقيمة. وقد تركت التطويل بذكرها ولبراجعها طالبها في أصلها. ثم انحرف لبيب إلى أعمامه فقال لهم: القوا بي أبا بني عبس، أرجعه عنكم بتعس ونكس، فحلّقوا رأسه وألبسوه حلة وانطلقوا به حتى انتهوا به إلى الملك وهو في قبة له، وحوله الناس وهو مع الربيع يؤاكله، فناداه لبيد من وراء القبة بسجعات صلبة فلما سمعها النعمان أذن لهم فدخلوا فأدناهم إلى المائدة وبسط الملك والربيع يده.

فقال لبيد يخاطب النعمان ببيت مفرد:

[٦٤-أ]

أنا لبيد دثم ماري السد رعة مه لا - أبيت اللعن - لا تأكل معه

فقال النعمان: ولم يا غلام؟ فقال لبيد

إن أسدته من به رص مفقعة . وإنه يذخ . ل فيه . ما إصبعه .  
يدخله . ما حتى توارى أسد جفه كأنه يطل . ب شيداً ضبعه .

فقال النعمان: أفسدت طعامنا يا غلام. فقال لبيد:

نح . ن بذو أم السنين الأربعة . نح . ن خي بار عام رب بن صصعة  
المطعمين . ن الحفيع . ل المدعدة والضاريين الهام تدت الحنصعة  
أك . ل . ي . وم هامت . ي مقرعة . يارب هيج ما هي خير من دعة  
إليك جاوزنا . ب . لاداً مضيع . ل والفلوات عند ذاك المضيع . ل

فقال النعمان: أف لهذا الطعام، ثم أقبل على الربيع بن زياد فقال له: ما أنت بآكل معنا بعد اليوم. فقال الربيع: كذب هذا أيها الملك - أبيت اللعن - ما أنا كما ذكر، إلى غير هذا مما قاله في الأصل واشتهر. ثم بعث النعمان إلى الربيع وأسرج خيله وأمره

بالرحيل عنه. فقال له الربيع: لست براحل حتى تبعث إليّ من ينظرني ليعلم الملك كذب من رماني بما ليس فيّ، فأرسل له النعمان بثلاثة أبيات يقول فيها:

ش رَدَّ برحط . ك ح ي ث ش ثت ولا      تُك . ثر ع . ي ودغ عنك الأقاويلا

[٤٦-ب]

والحق بحيث رأيت الأرض واسعة      واشدد بها الطرق إن عرضاً وإن طولاً

قد قيد . ل ذلك إن حقاً وإن كذباً      فما اعت . ذارك من قول إذا قيلاً

انتهى ملخصاً. فكان الجزاء من جنس العمل والبادي أظلم. والله تعالى أعلم.

وأما حديث أويس القرني رأس التابعين من أهل اليمن فذكره جماعة من علماء الدين، فقال منهم العلامة الحجة مجد الدين المبارك بن الأثير الشيباني العمدية في كتابه المختار، في مناقب الأخيار، ما ملخصه: أويس بن عامر بن مرة بن مالك القرني من أعلام التابعين ومقدميهم، وعلم الأصفياء من الزهاد، بشّر به النبي ﷺ وأوصى أصحابه بطلب الدعاء منه. قال أسيد بن جابر: كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا أتت عليه أمداد اليمن سألهم: أفیکم أويس بن عامر حتى أتى على أويس فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم، قال: من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم، قال: كان بك برص فبرئت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم. قال: لك والد؟ قال: نعم. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد [٤٧- أ] من قرن، كان به برص فبرئ منه إلا موضع درهم، له والدة وهو بها برّ، لو أقسم على الله عز وجل لأبره. فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل» فاستغفر لي فاستغفر له. فقال عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة، قال: ألا أكتب لك إلى عاملها فيستوصي بك. فقال: لأن أكون من غبراء الناس أحب إليّ .... الخبر. وفي رواية مالك عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مطولاً: قال رسول الله ﷺ «إن الله عز وجل يحب من خلقه الأصفياء الأحرارياء الأبرياء الشعثة رؤوسهم المغبرة وجوههم، المخصصة بطونهم، الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم وإن خطبوا المنعمات لم ينكحوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، وإن طلّعوا لم يفرح بطلعتهم وإن مرضوا لم يعادوا، وإن ماتوا لم يشهدوا. قالوا: يا رسول الله كيف لنا برجل منهم؟ قال ذاك أويس القرني»، قال ﷺ «هو أشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين، معتدل القامة، آدم شديد الأدمة، ضارب بذقنه إلى صدره، رام ببصره إلى

موضع سجوده، واضع يمينه على شماله [٤٧-ب] يتلو القرآن ويبكي على نفسه، ذو طمرين لا يُؤْبَهُ له. مَنَزَّرَ بَازَارَ صُوفٍ وَرَدَاءَ صُوفٍ مَجْهُولٍ فِي الْأَرْضِ، مَعْرُوفٍ فِي السَّمَاءِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَ قَسْمِهِ. أَلَا وَإِنَّ تَحْتَ مَنْكَبِهِ الْأَيْسَرِ لَمَعَةٌ بَيْضَاءُ. أَلَا وَإِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قِيلَ لِلْعِبَادِ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَيَقَالُ لِأُوَيْسَ: قِفْ فَاشْفَعْ، فَيُشْفَعُهُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي مِثْلِ رَبِيعِهِ وَمَضْرٍ. يَا عُمَرُ وَعَلِيَّ إِذَا أَنْتَمَا لِقَيْتُمَاهُ فَاطْلُبَا إِلَيْهِ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكُمَا، يُغْفِرَ اللَّهُ لَكُمَا». قَالَ: فَمَكْنَا يَطْلُبَانِهِ عَشْرَ سَنِينَ لَا يَقْدِرَانِ عَلَيْهِ. فَلَمَّا كَانَ فِي آخِرِ السَّنَةِ الَّتِي هَلَكَ فِيهَا عُمَرُ قَامَ عَلَى أَبِي قَبِيْسٍ فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا أَهْلَ الْحَجِيجِ مِنَ الْيَمَنِ أَفِيكُمْ أُوَيْسُ؟ فَقَامَ شَيْخٌ كَبِيرٌ طَوِيلُ اللَّحْيَةِ فَقَالَ: إِنَّا لَا نَدْرِي مَا أُوَيْسُ وَلَكِنْ ابْنُ أَخِي لِي يَقَالُ أُوَيْسُ وَهُوَ أَجْهَلُ ذَكَرًا وَأَقْلَ مَالًا وَأَهْوَنُ أَمْرًا مِنْ أَنْ نَرْفَعَهُ إِلَيْكَ وَإِنَّهُ لَيُرْعَى إِلَيْنَا، حَقِيرٌ بَيْنَ أَظْهَرِنَا، فَعَمِيَ عَلَيْهِ كَأَنَّهُ لَا يَرِيدُهُ. وَقَالَ: أَيْنَ ابْنُ أَخِيكَ هَذَا؟ أَبْجَرِمَنَا هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَأَيْنَ يُصَابُ؟ قَالَ: بِأَرَاكِ عِرْفَاتٍ. [٤٨-أ] قَالَ: فَارْكَبْ عُمَرُ وَعَلِيَّ سِرَاعًا إِلَى عِرْفَاتٍ فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ يَصْلِي إِلَى شَجَرَةٍ، وَالْإِبِلُ حَوْلَهُ تَرْعَى، فَشَدَّ حِمَارِيهِمَا ثُمَّ أَقْبَلَا إِلَيْهِ، فَقَالَا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَخَفَّفَ أُوَيْسُ الصَّلَاةَ ثُمَّ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمَا وَرَحْمَةُ اللَّهِ. قَالَا: مَنْ الرَّجُلُ؟ قَالَ: رَاعِي إِبِلٍ، وَأَجِيرُ قَوْمٍ. قَالَا: لَسْنَا نَسْأَلُكَ عَنِ الرَّعَايَةِ وَلَا عَنِ الْإِجَارَةِ، مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: عَبْدُ اللَّهِ. قَالَا: قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ أَوَاتُوا الْأَرْضَ كُلَّهَا عِبِيدَ اللَّهِ. فَمَا اسْمُكَ الَّذِي سَمَّيْتَكَ أَمْكُ؟ قَالَ: يَا هَذَانِ مَا تَرِيدَانِ إِلَيَّ. قَالَا: وَصَفَ لَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ أُوَيْسًا الْقُرْنِيَّ فَقَدْ عَرَفْنَا الشَّهُولَةَ وَالصَّهُولَةَ وَأَخْبَرْنَا أَنَّ تَحْتَ مَنْكَبِكَ الْأَيْسَرِ لَمَعَةٌ بَيْضَاءُ فَأَوْضَحَهَا لَنَا، فَإِنْ كَانَتْ بِكَ فَأَنْتَ هُوَ. فَأَوْضَحَ مَنْكَبَهُ فَإِذَا اللَّمْعَةُ، فَابْتَدَرَاهُ بِقَبْلَانِهِ وَقَالَا: نَشْهَدُ أَنَّكَ أُوَيْسُ الْقُرْنِيَّ فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَغْفِرَ اللَّهُ لَكَ. قَالَ: مَا أَخْصُ بِاسْتَغْفَارِي نَفْسِي وَلَا أَحَدًا مِنْ وَلَدِ آدَمَ وَلَكِنَّهُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ. يَا هَذَانِ قَدْ شَهِدَ اللَّهُ لَكُمَا حَالَتِي وَعَرَفَكُمَا أَمْرِي. فَمَنْ أَنْتُمَا؟ [٤٨-ب] قَالَ عَلِيٌّ: أَمَّا هَذَا فَعُمَرُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. وَأَمَّا أَنَا فَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. فَاسْتَوَى أُوَيْسٌ قَائِمًا وَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. وَأَنْتَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ. فَجَزَاكَمُ اللَّهُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَةِ خَيْرًا. قَالَا: وَأَنْتَ فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنْ نَفْسِكَ خَيْرًا. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَكَانَكَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ حَتَّى ادْخَلَ مَكَّةَ فَآتَيْكَ بِنَفَقَةٍ مِنْ عَطَائِي وَفَضْلِ كِسْوَةٍ مِنْ مَالِي. هَذَا الْمَكَانُ مِيعَادُ بَنِي وَبَيْنَكَ. قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا مِيعَادَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، لَا أَرَاكَ بَعْدَ الْيَوْمِ، فَعَرَفَنِي مَا أَصْنَعُ بِالنَّفَقَةِ؟ مَا أَصْنَعُ بِالكِسْوَةِ؟ أَمَا تَرَى عَلَيَّ إِزَارًا مِنْ صُوفٍ وَرَدَاءَ

من صوف متى تُراني أخرقهما؟ أما ترى أن نعلَي محصوفتان، متى تُراني أبلِيهما؟ أما تُراني أخذتُ من رعايتي أربعة دراهم متى تُراني آكلها؟ يا أمير المؤمنين وإن بين يدي ويدك عقبة كؤودا لا يجاوزها إلا ضامر مُخفّف مهزول، فأخفّ رحمك الله. فلما سمع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذلك ضرب بيديه الأرض، ثم نادى بأعلى صوته: ألا ليت عمر لم تلده أمه، وألا ليتها كانت عاقراً لم تعاقِر حملها، [٤٩-أ] ألا مَنْ يأخذها بما فيها ولها؟ ثم قال: يا أمير المؤمنين خذ هاهنا حتى آخذ هاهنا، فوليّ عمر ناحية مكة وساق أويس إبله فوافى القوم وخليّ عن الرعاية، وأقبل على العبادة حتى لحق بالله عز وجل.

ثم ذكر الإمام مجد الدين ابن الأثير ترجمة أويس القرني مطولة. والذي سقته منها يعلم بها الكامل أنها مُكملة لأن فيها عبرة للمعتبرين، وتحصل بها الموعظة للمتقين، ويُعلم بها ذوي العاهات، أنه لا يُبتلى بها إلا أصحاب الأعمال الصالحات، الذين يرضون بما قدره الله تعالى عليهم، ولا يتعاضمون على ما نسبته الله إليهم، ولا ينكرون ما أسداه الله لهم من المَحَن بالعاهات، التي تُعدّ لهم منْحاً<sup>(١)</sup> وحسنات، وهم يذكرونها من العيب والسيئات.

ولذلك عرّف المحدثون بها جماعة من أهل الروايات، فقال العلامة عز الدين ابن الأثير أحد الثقات في مؤلفه اللباب في الأنساب: الأبرص: بفتح الألف وسكون الباء الموحدة وفتح الراء وفي آخرها الصاد المهملة. عُرف بها عبد الرحيم بن سعيد الأبرص [٤٩-ب] أخو محمد بن سعيد المصلوب، وكان زنديقاً وغيره من الرواة<sup>(٢)</sup>.

والأحدب: بفتح الألف وسكون الحاء المهملة وفتح الدال أيضاً وفي آخرها الباء الموحدة. اشتهر به أبو محمد الربيع بن عبد الله بن خطاف الأحدب لحدبٍ في ظهره. وهو الانحناء والنتؤ، وغيره جماعة منهم: واصل الأحدب<sup>(٣)</sup>.

والأحول: بفتح الألف وسكون الحاء هذا من الحول في العين. منهم: عامر بن عبد الواحد الأحول من أهل البصرة، وعاصم الأحول كوفي أصله من البصرة ومات سنة اثنين أو ثلاث وأربعين ومائة [٥١٤٣ هـ / ٧٦٠م]. انتهى<sup>(٤)</sup> كلام ابن الأثير مختصراً.

(١) بالأصل منْح، والإصلاح مقترَح.

(٢) ابن الأثير (عز الدين): اللباب، ٢٤/١.

(٣) نفس المصدر، ٣٠/١.

(٤) نفس المصدر، ٣٣/١.

وتقدم في أول هذا الباب، عن الشيخ أبي بكر الخوارزمي الأواب، من الحول ثلاثة وهم: أبان بن عثمان بن عفان، وزباد بن أبيه، وأبو بردة بن أبي موسى الأشعري<sup>(١)</sup>. وكان كذلك بعدهم الخليفة هشام بن عبد الملك الأموي فلذلك وصفه به في نظمه أبو فراس الفرزدق حين حبسه بعصفان بين مكة والمدينة، لما امتنع السيد زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالقصيدة المشهورة - وقت طوافه بالبيت الشريف [٥٠-أ] وتقيل الحجر الأسود، وسأله عنه أهل الشام لما شاهدوا عليه من الهيبة والسؤدد فقال البيتان المشهوران:

تَحَبَّسَ ذِي بِي . نَ الْمَدِينَةِ وَالتِّي      إِلَيْهَا قُلُوبُ الْعَالَمِينَ تَهْوِي مَنِيبَهَا<sup>(٢)</sup>  
فَقَبَّلَتْ رَأْسَهُ أَلَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيْدٍ      وَعَيْنُ أَلَمْ يَدُولَاعِبَادٍ عِيُوبَهَا

ورأيت شيخنا خاتمة الحفاظ الشمسي محمد السخاوي الهمام ذكر في تاريخ المدينة الشريفة أحد الأعلام من التابعين الزاهد القاصد سلمة بن دينار اللبني مولاهم أنه كان أحول أعرج، كما نقله عن ابن حبان وغيره.

وهؤلاء سبعة من الفحول، لهم في زماننا ثامن من الحول، وهو أحد المدرسين، بحرم الله الأمين، شهاب الدين أحمد بن جمال الدين الهيثمي القاهري الملقب بابن حجر، مُشَبَّهًا لِمَنْ مَضَى فِي الْأَثَرِ، وفرق بين الرجلين في الحفظ والقضاء وصحة العين، وكنت أولاً ما ذكرته في ذوي العاهات، حتى بارزني بكتابته على الفتوى والخصومات، التي أراد بها الظهور، وهو قَصَامُ الظهور، فذكرته ليعلم خصوصيته، ورحم الله صاحب الحكم، حيث قال في أحوال الأمم: الخمول نعمة وكلُّ يابأه، والظهور نقمة وكلُّ يتمناه، والله در بعضهم [٥٠-ب] حيث قال في المعنى.

لَذْ خُمُولٌ . ي وَدَّ لَامَ رُهُ      إِذْ صَانَدِي عَنْ كُلِّ مَخْلُوقٍ  
نَفْسِي مَعَشٍ وَقِي وَلِي عِبْرَةٍ      تَمْنَعُنِي عَنْ بَذْلِ مَعَشٍ وَقِي

والأعرج: مَنْ اعتمد على أحد رجلينه ودرج. ذكر منهم جماعة من المتقدمين والمتأخرين. فمن المتقدمين مَنْ أَلْفَ فِيهِمُ الْجَاحِظُ، مؤلفاً لم أطلع عليه وهو بذكرهم

(١) الخوارزمي: مفيد العلوم، ص ٤٧٨-٤٧٩.

(٢) كذا ورد البيت بالأصل مختل الوزن.

ناهض، وذكر منهم الإمام أبو<sup>(١)</sup> بكر الخوارزمي ما قدمته أول الباب الأول وهم تسعة: أولهم أبو طالب وفي آخر الباب الثاني عطاء بن أبي رباح وأبي الأسود الدؤلي، وغيرهما من أهل المطالب. وذكر بعده العز بن الأثير في الأنساب جماعة من الطلاب كعبد الرحمن بن هرمز صاحب أبي هريرة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومن سأل ذكره غيره منهم إمام المفسرين علامة زمخشر أبو القاسم محمود الملقب جارا لله، ومالك الشرق تيمورلنك الخطاي الأعرج وهو اللنك بلغتهم واسمه محمود أيضاً، والعلامة الرحلة أحد المعبرين وعين المدرسين جمال الدين وشمس الدين محمد بن ناصر الدين محمد ابن القاضي زين الدين أبي بكر [٥١- أ] العثماني المراغي المدني المقعد. قال فيه شيخنا الحافظ السخاوي في تاريخ المدينة، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع في ترجمته ما صورته: إن همته عليّة، وبهجته جليّة، مع نقص حركته فإنه من صغره عرض له عارض بحيث أقعد حتى صار يمشي أولاً على عكازين ثم بآخره صار يوضع على دكة لها بكرٌ تُسحب بها إلى باب المسجد ويحمله من ثم حامل إلى اسطوانة التوبة من الروضة، فيجلس بها أيام الجمع ونحوها. وكذا أشهر الحديث ونحو ذلك، وباقي الأيام في بيته ولا يترك مع ذلك الحج في كل سنة<sup>(٢)</sup>، نفع الله به.

يقول مؤلفه - غفر الله له - واتفق مثله في المرض والإقعاد لشيخنا القدوة المعمر الأستاذ، عالي الإسناد، عين القراء الأمجاد، شرف الدين عبد الحق السنباطي الشافعي - نفع الله به - وكان يتعكز على عصاه لعجزه عن الحركة في آخر عمره، وصار أولاده يحملونه على ظهورهم، فحصل الفخر لكلهم. وشاهدتُ فعل ذلك منهم وقت برونه للمسجد الحرام والطواف به ورآه الخاص العام، لما جاور بمكة عام وفاته سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة [٥١٣١ هـ / ١٥٢٥ م] رحمه الله تعالى ونفع به.

[٥١-ب] وحصل العرج لجدي لأمي المُسند المعمر الأمجد، فخر الدين أبي بكر أحمد ابن الحافظ تقي الدين محمد بن فهد الهاشمي المكي الهمام، لوقوعه وقت المطر بدرج المسجد الحرام.

(١) ورد في الأصل أبا وهو خطأ نحوي.

(٢) السخاوي: الضوء اللامع ٩: ٥٧.



وللشيخ الجليل الأوحّد الأصيل نور الدين أبي الحسن علي بن عبد الرحمن المرشدي  
الأنصاري المكي لسقوطه من محلّ عالٍ.

ولشيخنا العلامة النحوي المحبوب، زين الدين أبوب بن عبد السلام الأزهري المكي.  
لرفض حصل له أيام الحاج، فحصل له بذلك الانزعاج.

وكذا للعلامة الحجة قاضي الشافعية بحلب ومكة كان، كمال الدين محمد بن محمد  
التادفي لرمي فرسٍ له في هذا الأوان، بلّغه الله وإيانا الأمان، والعفو والرضى، وغفر  
لمن شاركه في ألمه ومضى.

إلى غير هذا من العاهات، التي ذكرها في كتبهم العلماء النُّفَات. وقال: منهم شيخ  
الأدباء العلامة الحجة، الصلاح الصفدي المحجة، في شرح لامية العجم عند قول  
الطغراني المشهور كالعلم:

[٥٢-أ]

لو أن في شرف المأوى بلوغ مُنَى لم تبرح الشمس يوماً دارة الحمل

بعد استشهاده بعدة أبيات في خصال مضمومات.

ثم ذكر من له شهرة بين المسلمين بخصال من لقبه المبين، منهم: أصحاب النوادر  
كابن أبي عتيق وأشعب الطامع وأبو الغصن، وجُحَا، وأبو .....<sup>(١)</sup>، وأبو العنبر وأبو  
العبيس وابن الجصاص ومزيد المدني، وغيرهم ممن ابتلي بالعاهات من كل ملك ودني.  
فقال: الإسكندر كان أخصف، أنوشروان كان أعور، ويزدجرد كان أعرج، جذيمة الوضّاح  
أبرص، النعمان بن المنذر أحمر العينين والشعر، عبد الملك بن مروان كان أبخر، يزيد  
بن عبد الملك أفقم، هشام بن عبد الله أحول، مروان الحمار أزرق العينين، عبد الله  
بن الزبير كوسج، الهادي شفته العليا فيها تقلّص، وكان أبوه المهدي رتب معه خادماً  
يلازمه متى غفل وفتح فاه قال له مؤص: أطبق، إبراهيم المهدي كان أسود سميناً يلقب  
بالنصاب. انتهى كلام الصلاح الصفدي في هذا التّأليف. [٥٢-ب] وله في ذوي العاهات  
عدة مؤلفات تقدم ذكر بعضها، لكنني لم أطلع عليها جميعها، وفي ذكرها مع غيرها عبرة

(١) كلمة غير مقروءة بالأصل.

لمن اعتبر، من ذوي الفطنة والنظر، فالله تعالى يبصرنا بعيوب أنفسنا، ويغفر لنا ما تقدم وتأخر من ذنوبنا، إنه بالآمال كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

تنبيه: حسنة يُدعى بها لاتقاء البلاء ممن خافه وعاینه. نقل شيخنا العلامة الرباني شهاب الدين أحمد القسطلاني - رحمه الله تعالى - في كتابه المواهب اللدنية العظيمة المعاني ذكر ما يتقَى من كل بلاء.

روينا عن أبان بن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قال بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، ثلاث مرات حين يمسي لم تُصبه فجأة بلاء حتى يصبح، ومن قالها حين يُصبح، لم تُصبه فجأة بلاء حتى يمسي» قال فأصاب أبان بن عثمان الفالج فجعل الذي سمع منه ينظر إليه، فقال له: مالك تنظر إليّ، فوالله ما كذبتُ على عثمان ولا كذب عثمان على رسول الله ﷺ، ولكن اليوم الذي أصابني فيه ما أصابني عمتُ فَنَسِيتُ أن أقولها [٥٣-أ] رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. وعند الترمذي بلفظ: فكان أبان قد أصابه طرف فالج فجعل الرجل ينظر إليه. فقال له أبان: وما تنظر إليّ؟ أما إن الحديث كما حدثتك، ولكن لم أقله يومئذ ليمعني الله قدره.

ثم ذكر شيخنا القسطلاني على الولاء، ذكر ما يستجلب به المعافاة من سبعين بلاء. ذكر أبو محمد عبد الله بن محمد المالكي الإفريقي في كتاب أخبار إفريقية<sup>(١)</sup> عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً «من قال بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، عشر مرات برئ من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وعوفي من سبعين بلاء من بلاء الدنيا منها الجنون، والجذام، والبرص، والذبح». وشهد له ما رواه الترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله ﷺ «أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولا ملجأ من الله إلا إليه، كشف الله عنه سبعين باباً من الضر أدناها الفقر»<sup>(٢)</sup>. وروى الطبراني عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «من قال

(١) هو كتابه رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية. المالكي: رياض النفوس ج ١ ص ٢٨٣!  
مع بعض اختلاف في رواية الحديث.

(٢) اضطراب في نقل المؤلف تداركناه بما ورد في الكتاب المنقول عنه.

لا حول ولا قوة إلا بالله كان دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم<sup>(١)</sup> [٥٣-ب] إلى غير هذا من آيات الشفاء، والله أعلم بما فيه العافية والاكتفاء، فروينا منها.

.....(٢)

[٥٤-أ] خاتمة الكتاب: في الوارد للإنسان من المصاب، وما يحصل له من الأجر والثواب، من الله الكريم الوهاب.

قال الإمام الأستاذ فقيه بغداد أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي الحنفي المعلوم، في مؤلفه مفيد العلوم، ومبيد الهموم: النوع الرابع عشر: كتاب سلوة العقلاء في الحادث لهم من البلاء<sup>(٣)</sup>.

الباب الثاني: في مخاطبة النفس، لما يعترها من المرض والأواء واللمس<sup>(٤)</sup>، يقول لها: يا نفس اصبري فقد قال سيدنا محمد ﷺ «لا خير في بدن لا يمرض ولا في مال لا يصاب» ويقول لها: أنين المريض تسبيح، وحنينه تهليل. كم قد سلمت ونعمت يا نفس فاصبري وتصبري في هذه الأيام لتتالي أجر الصابرين، فإن صبرت مأجوراً لك فهو خير لك من إن صبرت مجبوراً، فاشكري الله تعالى إذ لم يجعل سقمك أكثر من صحتك، فلو أسقمك جميع عمرك ما كنت تصنعين؟ قلبي!! أتحاربينه أم تخاصمينه؟ العبد عبده والأمر أمره.

وقال النبي ﷺ «ما أصاب المسلم شيء إلا كان كفارة له» يا نفس تصبري فلعل [٥٤-ب] المرض نصيبك من المصاب في الدنيا، فقد فسر أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله عز وجل: ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾<sup>(٥)</sup> بأنه المصيبة في الدنيا. ثم يسلي نفسه به يقول الله تبارك وتعالى بذلك، وبما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾<sup>(٦)</sup> وأن الله سبحانه وتعالى أخبر المؤمنين أن الدنيا

(١) القسطلاني: المواهب اللدنية، ٤٦٦/٣.

(٢) بقية هذه الورقة ٥٥ هـ وردت بيضاء، لعل المؤلف تركها ليعود إليها فيضيف أحاديث أخرى في الموضوع.

(٣) من هنا إلى نهاية الخاتمة ينقل المؤلف عن الخوارزمي في كتابه مفيد العلوم من ص ٢٦٦ إلى ص ٢٧٨ وكان في نقوله كثير من التصرف والزيادة والحذف والتعليق.

(٤) كذا بالأصل.

(٥) القرآن: سورة السجدة، آية: ٢١.

(٦) القرآن: سورة البقرة، آية: ١٥٥.

دار بلاء وأنه مُبتليهم فيها، وأمرهم بالصبر فقال عز وجل: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (١) ثم أخبرهم أنه جل وعلا هكذا يفعل بأوليائه وأنبيائه وصفوته يطيب قلوبهم فقال ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ﴾ (٢) فالْبَأْسَاءُ: الفقر، والضراء: المرض، وزلزلوا بالفتن وأذى الناس إياهم.

فعلى العاقل أن يُسَلِّي نفسه لدى المصيبة والمرض حتى يجد ثواب الصابرين. قال رسول الله ﷺ: «من استرجع عند المصيبة جبر الله تعالى مصيبته وأحسن عقابه».

وفي الخبر أنه أصيب يوم أُحُد من الأنصار أربعة وستون وأصيب من المهاجرين ستة منهم حمزة، رضي الله عنهم. وقال ﷺ [٥٥-أ] «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ». قال صاحب الغريبين معناه ابتلاه بالمصائب ليثيبه عليها وإن أعرضت عنه الدنيا. وأنشد على نفسه شيئاً من الشعر:

غدرت وقد عزمْتُ على وفاء (٣) فمغ . رور بمثل ك م . ن يوْثُ ق  
فتنّفسْتُ أسفاً وعضْتُ كفها (٤) غضبا وقالت: لس ت ممن يعشُ ق  
وتعلّقْتُ يوم ال . وداع بخصمها مث . ل الغري ق بم ن يجد يتعلّ ق  
ولغيره:

يا ليت حمّاهُ لِي كانت مضاعفة يوم . ل بش ه ر وأنّ الله عافاه  
قد قدّت للـس قمّ إني لس ت أذكره وكيف يذكّره م ن ليس ينساه  
غيره:

لم أ عف . وثُ ولم أحقّ ذ على أحدٍ أزدتُ نفسي مِن ه م العداوات  
إنّي أحْيِي ع دوي حيد ن أبصره لأدفع الش . ر عذ . ي بالتحديات  
وأظهر البش . ر للـس إن أبغضه كأذ ه ق د م لاقه بي مس . رات

(١) القرآن: سورة البقرة، آية: ١٥٥-١٥٦.

(٢) القرآن: سورة البقرة، آية ٢١٤.

(٣) ورد صدر البيت في المخطوط وفي المنقول عنه مضطرباً فحاولنا إصلاحه.

(٤) ورد صدر هذا البيت في المخطوط بما نصه: وغضب عنها.

ولست أنت ألدُّ لِمَنْ لست أنت أعرفه فكيف أنت لِمَنْ من أهـ . لى المودَّات؟  
الذاس داءً، دواء الذـ . اس تركهم وفـ . لى الجفاء لهم دفع الأذيات  
فخالق الناس وأصبر ما بقيت لهم أصدَم أبكـ . م أعمـ . لى ذا تقيات

وإن جفاك إخوانك، وكفروا نعمتك، ولم يشكروا صنيعك، ورأيت ممن أحسنت إليه  
سيئة، أو مرضت فلم بعد، أو قدمت فلم يزُر، أو تشفعت فلم يقبل، فلا تغتم، وتسل بهذه  
الآبيات لأبي بكر الصديق رضوان الله عليه:

تغيـ . رت الأجبـ . لة والإخـ . ماء وقد لى الصديق<sup>(١)</sup> وانقط ع الرجاء  
[٥٥-ب]

وأسد لمني الزمـ . ان إلى صديق كثير الغدر ليس له وفاء  
يديمـ . ون المـ . ودة مـ . ما رأوني وبقوا الودم باقى لى اللقواء  
فكـ . لى مـ . ودة فى الله تصفو ولا يصفو عدى الخلق الإخاء  
وكل جراحـ . لة فلهـ . ما دواء وخلق السوء ليس له دواء

وإن ضيع عمره فى خدمة من لا يعرف حقه، وجمع علوماً فلم ينتفع بها دنيا وأخرى  
فليرث نفسه بهذه الآبيات.

جمعت كنوزاً من دنائير حكمـ . تغالب قلباً لى مقيماً على الفكر  
فسنُّ هوى نفسى ستضحك عن غنى وعين صفاء القلب تبكي من الفقر  
ربحت على علمى كنوز مدائحي وإنى لمن صدق الحقائق فى خسر  
فأصبحت مغبوطاً بظاهر ما أرى وأصبحت مهموماً بباطن ما أدري  
وخصمـ . لى جبار أقرب له بمـ . ما فعلت ولا يخفى على علمه أمرى  
عسى هو بالإقرار يعفو بفضله وإلا فلا يزداد بالجد د فى أمرى  
فأغسل كالفصل عيني بحكمته وإن مياها البدر تعجز عن طهرى

(١) وردت الكلمة فى الأصل: الصديق، وبها لا يستقيم الوزن .

[وإن قحطت]<sup>(١)</sup> فقل يا نفس، الشبع يَكْنَى أبا الكُفر، جوعي لتشبعي واشبعي لتستغني، واشبعي لترجعي إلى ربك وإن عمرت إلى الشيخوخة وأنت في خدمة السلطان، فأعلمي أنها مصيبة عظيمة أعظم بها من مصيبة، فمن لم يتفرغ إلى ربه في آخر عمره فمَتَى يتفرغ؟ ومن لم ينتبه بعد سبعين حجة فمَتَى ينتبه وينبغي أن يعاتب نفسه ويقول:

[٥٦-أ]

أَيُّ مَاذَا الشَّيْءُ بِ مَا لَا تَتُوبُ	وَقَدْ عَالَ . سِي بِعَارِضِكَ الْمَشْءُ يَب
أَبْعَدَ الشَّيْءُ بِ تَعَصُّ . سِيذَا الْمَعَالِي	ج . وَادَّ مَا جِذُّ رَبِّ قَرِي . بْ
يَجُودُ بَعْدَ . وَه وَالشَّيْءُ . سِي خِ لَاهِ	فَأَم . رِ الشَّيْءُ . سِي خِ وَيَحْكُمُ عَجِيب
أَسَدُ كَانَ الْقَبْرِ . وَرَمَتْ . سِي التَّلَاقِي	وَقَدْ . دِ أُوْدِي بِشَمْسٍ كَمِ الْغُرُوبِ

فاعلم أن النفس ما حملتها تحملت فإذا هذبتها وأدبتها تهون مصائب الدنيا، وإن استرسلتها عقرتك وأذتك فتصبح في غم وتمسي في هم، فالجهد الكبير معالجة النفس.

وأنشد الشبلي رحمة الله عليه:

يَمِينُ . مَا صَادَقَ . مَا حَقَّ مَا	بِ رَبِّ الْعَرْشِ وَالْكَرْسِ سِي
فَمَا عَالَجَتْ فِي عَسْرِ	كَمْ ثَلِ الْعُسْرِ فِي الْيُسْرِ
فَإِنْ صَارَعَتْهُ . مَا وَيْلِي	وَأِنْ صَارَعَتْهُ مَا عَدْسِي
م . عِ الْأَبَالِي . سِي إِبْلِيسَ	وَم . مَا إِبْلِيسَ فِي النَّفْسِ

ومن لطيف رياضة النفس، وخلق الإنسان على خلق لا سبيل إلى نقضها، خُلِقَ عجولاً ضعيفاً شهوانياً كارهاً للمصائب، نفوراً عن الفقر يخاف الفقر من جبلة النفس والامتناع منها.

ولكن أرشدكم إلى دقيقة لطيفة تميزون بها بين ما هو لله وبين ما هو حظ الشيطان، مثاله إنسان، صائم قد أجهده العطش فنظر إلى ماء بارد فلا شك أنه يشتهي، فاشتهاؤه من فعل الجبلة، وامتناعه من فعل الإيمان.

(١) وردت الكلمة بالأصل: «وبخط» والإصلاح الواقع ما بين عاقتين من المصدر المنقول عنه.

ورجلٌ نظر إلى امرأة حسناء فلا يقدر أن لا يشتتها، ولكن غَضَّ بصره عنها من فعل الإيمان. وحب الرئاسة من طبيعة الإنسان [٥٦-ب] ولكن كَفَّ النفس عن الحرام وسفك الدماء وأخذ الأموال من الإيمان، فافهم ذلك وقِسْ عليه.

وفي الجملة أفعال الخير تدلّ على السعادة وأفعال الشرّ تدلّ على الشقاوة، والعاقبة مخفية، والأعمال بخواتيمها. والسلام.

حكاية عن مجاهد - رحمه الله - قال: يُؤْتَى بثلاثة يوم القيامة بالغني والمريض والعبد المملوك. فيقال للغني: ما منعك عن عبادتي؟ فيقول: يارب أكثر مالي فطغيتُ. فيؤتى بسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ في ملكه، فيقال له: أنت كنت أكثر شغلاً من هذا أم هذا؟ فيقول: لا. فيقول إن هذا لم يشغله ذلك عن عبادتي. ثم يؤتى بالمريض فيقول له: ما منعك عن عبادتي؟ فيقول: شغلت بجسدي. فيؤتى بأبيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ في صبره، فيقول: أنت كنت أشدَّ ضرراً من هذا، أم هذا؟ فيقول: بل هذا: فيقال: إن هذا لم يمنعه ذلك عن عبادتي. ثم يؤتى بالمملوك فيقال: ما منعك عن عبادتي؟ قال: جعلت عليّ أرباباً، فيؤتى بيوסף - عليه السلام - فيقال له كالقولين قبله.

فنسأل الله تعالى العافية<sup>(١)</sup>، وإبلاغنا فضله ونعمته الواقية، وأن يجعلنا ممن إذا أصابته الضراء صبر، وإذا نالته النعماء شكر، وأن يتعظ بقول الله اللطيف الخبير ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾<sup>(٢)</sup>. ويقول الإمام الأستاذ أبو بكر الخوارزمي فقيه بغداد: إن سبب الحوادث زوال النعم [٥٧-أ] وإنما حدوثها بسبب شؤم عمل الآدمي، إما بترك الشكر وإما بارتكاب المعصية. ويجوز أن يكون مغناه في الأغلب والأكثر، فإنّ الأتقياء والأولياء تصيبهم البلايا اللأواء ولا تكون لهم سيئة.

فارجعوا على أنفسكم بالأمم والتوبيخ ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup> يعني: اعلموا أنّ الغبطة كانت مقدرة بالوقت الذي جاوركم فيه ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾<sup>(٤)</sup> أي لا تتأشروا وتبطروا وتتكبروا على من لم يؤت مثل ما أوتيتم، لأنه عارية عندكم وليس

(١) الخوارزمي: مفيد العلوم، ص ٢٦٦-٢٧٣.

(٢) القرآن: سورة الشورى، آية: ٣٠.

(٣) القرآن: سورة الحديد، آية: ٢٣.

(٤) القرآن: نفس الآية.

بملك، فإن حقيقة الملك لله تعالى وليس للمستعير أن يفرح بالعارية لأنه لا يأمن في كل لحظة أن يسترجعها منه صاحبها.

فيا معشر الفضلاء فكروا، ويا جمهور العقلاء تذكروا، فجميع أنواع الدنيا وأملاتها من النفوس والأملك والأموال والأولاد والجاه والحشم كلها عوارٍ مردودة، فانتفعوا بها قبل أن استرجعها. ولهذا قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿لَيْكِلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾<sup>(١)</sup> قال: ليس أحد يفرح ويحزن ولكن إذا أصابته مصيبة جعلها ضرراً، وإن أصابه خير جعله شكراً. ويسلّي نفسه بقول القائل:

فيا نفس صبراً لست أول وامق      ورفقاً فإن الحب فيك عجائب  
س خي أصابته من الدهر نكبة      وأي س خي لم تصبه من النوائب

[٥٧-ب] وإن عوفي من مرضه أو نكبته فلا يأخذه الأثر والبطر، ويقول: تخلصت واسترحت، فالدار دار حوادث، وإن القضاء بالمرصاد<sup>(٢)</sup>. فهب أنه نجا من النفس والهوى، فكيف ينجو من الحكم والقضاء، وغيرهما مما قدره الله وأمضى. فإن رسول الله ﷺ والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لم يخلفوا في الدنيا مخلفاً، فمن لم يتسلّ بهم ويقتدي بسيرتهم فهو مطبوع على قلبه، ولم يرد الله به خيراً، فرحم الله من اقتدى بهم. ويقول ﷺ «الأكثرون هم الأقلون إلا من قال بالمال هكذا وهكذا، وقليل ما هم».

واعلم أنك لو أردت أن تجرب نفسك في ترك الولاية أو تجرع غصص، واختيار عزلة لعصت نفسك ولو تشفعت إليها بجبريل وميكائيل وكل ولي وزاهد لم تجب حتى تستشفع إليها بالجوع فحينئذ تطيعك وتتسلّى عن الشهوات واللذات.

وتذكر هنا قول أبيات:

أراك على البطالة لا تبادي      د للاً كان كس بك أم د رام ما  
وتقطع طول عمرك بالتمني      وبالتس ويف عام ما ثم (٣) عاما  
ولو علم الخلاق سوء فعلي      لم ما ردوا على مثلي س . للاماً

(١) القرآن: سورة الحديد، آية: ٢٣.

(٢) وردت الكلمة بالأصل: المراد.

(٣) بالأصل: بعد، والإصلاح من المنقول منه.



وأعظم مصيبة تدّ زل بالإنسان غباوة نفسه، فمن ابتلي بها قسا قلبه، ولم يخرج عن مصانعة الهوى، ومن كان [٥٨-أ] متابعاً الهوى، كانت النار له مأوى، ومن جزع في المصائب فقد أرغم القضاء والقدر، كما قيل: لا أرضى بالقسمة، ولا أشكر على النعمة، ولا أستغفر على المصيبة، ولا أصبر على المحنة. فأين<sup>(١)</sup> حقيقة العبودية؟

قال الشعبي: إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عز وجل عليها أربع مرات: أحمدته إذ لم تكن أعظم مما هي، وأحمدته إذ رزقني الصبر عليها، وأحمدته إذ وفقتني الاسترجاع لما أرجو فيه من الثواب، وأحمدته إذ لم يجعلها في ديني.

وجيء بنصراني يتطبّب إلى أبي بكر بن عياش فولى وجهه إلى الحائط وقال: بعد أن صرفت عني ما هو فيه فاصنع بي ما شئت. وأصاب الربيع بن خثم الفالج، فقال: والله ما اختار هذا الذي بي أن يعطيني<sup>(٢)</sup> الله عز وجل. وقيل له: لو تداوينا؟ قال: قد هممت ثم ذكرت ثموداً وأصحاب الرس كانت لهم أطباء فما بقي المداوي ولا المداوى. والشاعر يقول:

ما للطبيب يموت بالداء الذي      قد كان يُبرئ منه في ما مضى  
هلك المداوي والمداوى والذي      جلب الدواء وباعه ومن اشترى

وقال أخ لإبراهيم التيمي وهو في البلاء: لو دعوت الله تعالى أن يفرج عنك؟ قال: إني لاستحي أن أسأله أن يفرج عني في ما فيه أجر.

ووعظ هارون الرشيد، بما فيه الخير المزيد فقال: أذكرك الذي مذك، بق. ول من سلك، [٥٨-ب] ما اختلف الليل والنهار، ولا دارت نجوم في فلك، إلا تنقل النعيم عن ملك، قد انقضى ملكه إلى ملك<sup>(٣)</sup>

ولنا في جميع المصاب أسوة حسنة في طلب الثواب بفقد النبي المصطفى، زاده الله فضلاً وشرفاً، القائل: «أشدّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الأولياء» وفي رواية ذكرها المتقون «أشدّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون». وفي رواية «يبتلى الرجل على قدر دينه، فإن كان صلب الدين اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب ذلك، فما يبرح

(١) وردت الكلمة بالأصل: فإن.

(٢) كلمتان غير مقرونتين بالأصل، والإصلاح من النص المنقول عنه.

(٣) كذا ورد النص بالأصل وهو مخالف لما ورد في النص المنقول منه. الخوارزمي: مفيد العلوم،

البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة». إلى غير هذا من الأحاديث الواردة في المرض والابتلاء، والصبر على البلاء. وأعظمها مصيبة الدين، وموت خاتم الأنبياء والمرسلين، فمن أصابه شيء من المرض، أو طرأ له عرض<sup>(١)</sup>، فليذكر قوله ﷺ الصائب: «إذا أصيب أحدكم بمصيبة فليذكر مُصِيبَتَهُ بِهَا، فَإِنَّهَا أَكْثَرُ الْمَصَائِبِ». ورحم الله من قال في هذا المقال.

اصبر لك مصيب .ة وتجد  
واظم بأن المراء غير مخلد  
وإذا ذكرت مصيبة تشجى بها فاذكر مصائبك بالنبي محمد

وهذا آخر ما ذكرته، وفي هذا التأليف أثبتته، وقد زدت فيه زيادات كثيرة تأتي مقدار أصله [٥٩-أ] رغباً للمعاندين المطالبين بتمزيقه وغسله، من الجهلة الأطراف، ذوي العقول السخاف. وليطلع عليه العلماء الظراف، بعين اللطف والإسعاف. لأنني قصدت بتأليفه الموعظة الصحيحة، والتسلية الصريحة، ليتعظ به المتعظون، ويتسلّى بها فيه الطالبون. وأسأل من الله القبول، ويبلغني به نهاية القصد والسؤل، ويكفيني شر الأعداء والحاسدين، بجاه سيد المرسلين، ﷺ، وشرف وكرم، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وهو بالآمال كفيل.

قال ذلك وكتبه مؤلفه الفقير الحقير، المعترف بالتقصير، الراجي عفو ربه القدير، خادم حديث نبيه المصطفى البشير، المسمى باسمه الأجدد محمد المدعو جار الله بن عبد العزيز بن عمر بن تقي الدين محمد بن فهد الهاشمي المكي الشافعي، لطف الله به والمسلمين أجمعين.

وكتبت أصل هذه النسخة بعد غسل الأولى من المنغصين، الحسد في الدين، في العشر الأخير من شهر تأليفه وهو شعبان عام ثمان وأربعين وتسعمائة [٩٤٨هـ / نوفمبر - ديسمبر ١٥٤١م] بمكة المشرفة. ثم كتابة هذه النسخة بعد نسخ متعددة وذلك في سلخ جماد الأول عام خمسين وتسعمائة [٩٥٠هـ / ٣١ أغسطس ١٥٤٣م] بوادي البرابر، أحد أودية وادي مرّ من أعمال مكة المشرفة. شرفها الله تعالى.

والحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

(١) من هنا عاد المؤلف للنقل عن الخوارزمي في مفيد العلوم، ص ٢٨٤.



## الخاتمة

على الرغم من أنّ موضوع الكتاب محدود الأهمية في ظاهره فإن نصّه يقنّم لنا معلومات كثيرة عن شخصية جابر الله بن فهد مما يكمل بعض عناصر ترجمته الشحيحة. وهو يوضّح جوانب من علاقات العلماء المكيين في ما بينهم وعلاقاتهم بعلماء مصر والشام، وبالأحرى العلاقات الثقافية التي تقوم داخل المجتمع المكي وبين مكة والعواصم الحضارية الأخرى في بلاد الإسلام.



## ثبت المصادر والمراجع

- خليفة: حاجي مصطفى بن عبد الله.
- كشف الظنون، عن أسامي الكتب والفنون.
- نشر: محمد شرف الدين، ط: إسطنبول ١٩٤١ - ١٩٤٣م، مجلدان.
- الذهبي: شمس الدين محمد.
- تذكرة الحفاظ. طبع دار إحياء التراث. د. ت.
- الرشيد: د / ناصر
- المؤرخون من بني فهد. بحث نُشر في مجلة العرب العدد ١١ و١٢ سنة ١٣٩٧ هـ ..
- روزنثال: فرانز.
- علم التاريخ عند المسلمين.
- ترجمة: د. صالح أحمد العلي، مراجعة: محمد توفيق حسين، نشر: مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٣م.
- السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن.
- الإعلان بالتوبيخ، لمن ذم التاريخ، ط دمشق، ١٣٤٩ هـ ..
- الضوء اللامع، لأهل القرن التاسع.
- نشر مكتبة حسام الدين المقدسي، ط. القاهرة ١٣٥٣ هـ .، ١٢ جزءاً.
- شافعي: لمياء أحمد
- ابن حجر الهيتمي المكي وجهوده في الكتابة التاريخية.
- طبع مكتبة ومطبعة الغد، القاهرة سنة ١٤١٨ هـ / . ١٩٩٨م.

- الصفدي: صلاح الدين.
- الشعور بالعور.
- تحقيق: عبد الرزاق حسين، طبعة: عمان، دار العمار، سنة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م.
- ابن العماد الحنبلي: عبد الحي.
- شذرات الذهب، في أخبار من ذهب.
- طبع القاهرة ١٣٥٠ هـ ..
- العيدروسي: محيي الدين عبد القادر
- النور السافر، عن أخبار القرن العاشر.
- طبع بغداد سنة ١٩٣٤ م.
- الفاسي: تقي الدين: محمد بن أحمد
- العقد الثمين، في تاريخ البلد الأمين.
- تحقيق فؤاد سيد ومحمود الطناحي. مطبعة السنة المحمدية القاهرة ١٣٨١ هـ ..
- ابن فهد: جار الله محمد بن عبد العزيز.
- حسن القرى في أودية أم القرى.
- مخطوط مكتبة الأحقاف باليمن رقم ٩٨.
- النكت الظراف، في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف.
- تحقيق د/ لمياء أحمد شافعي. نشر....
- نيل المنى، بذيل بلوغ القرى، لتكملة إتحاف الورى.
- تحقيق محمد الحبيب الهيلة، نشر مؤسسة الفرقان، سنة ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.
- ابن فهد: نجم الدين عمر بن محمد التقي.
- الدر الكمين بذيل، العقد الثمين، في تاريخ البلد المين.

- تحقيق الشيخ ابن دهيش. طبع .....  
 - معجم شيوخ النجم بن فهد.  
 - مخطوط الهند، بنكيبور رقم ٧٣٧.  
 ■ ابن فهد: عز الدين عبد العزيز بن عمر.  
 - بلوغ القرى، في ذيل إتحاف الوري، بأخبار أم القرى، تحقيق: صلاح الدين بن خليل بن إبراهيم، عبد الرحمن بن حسين أبو الخيور، عليان بن عبد العالي المحلبي، طبع: دار القاهرة، سنة ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٥ م، ثلاثة أجزاء.  
 ■ القسطلاني: أحمد بن محمد.  
 المواهب اللدنية، بالمنح المحمدية.  
 تحقيق: صالح أحمد الشامي، نشر: المكتب الإسلامي ....  
 ■ الكتاني: عبد الحي بن عبد الكبير.  
 فهرس الفهارس والأثبات، ومعجم المعاجم والمشيكات والمسلسلات.  
 طبع باعتماد وفهرسة: إحسان عباس. ط: دار الغرب الإسلامي، بيروت سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ثلاثة أجزاء.  
 ■ كحالة: عمر رضا.  
 معجم المؤلفين.  
 مطبعة: الترقى، دمشق، سنة ١٩٥٧ م - ١٩٦١ م، ١٥ جزءاً.  
 ■ المحاسبي: الحارث بن أسد.  
 الرعاية لحقوق الله.  
 تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط:، نشر: دار الكتب الحديثة بالقاهرة، سنة ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م، ١٥ جزءاً.  
 ■ مرداد: أبو الخير عبد الله



المختصر، من كتاب نشر النور والزهر.

طبع عالم المعرفة بجدة سنة ١٤٠٦ هـ ..

■ الهيلة: محمد الحبيب.

التاريخ والمؤرخون بمكة في القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر ر.

طبع: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، موسوعة مكة المكرمة - لندن ١٩٩٤.

■ ابن الأثير: عز الدين علي بن محمد.

أسد الغابة، في معرفة الصحابة.

ط: المكتبة الإسلامية بطهران سنة ١٣٣٤ هـ ..

اللباب، في تهذيب الأنساب.

طبع دار صادر، بيروت.

■ ابن الأثير: المبارك بن محمد.

النهاية في غريب الحديث والأثر.

تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود الطناحي، طبع: دار إحياء التراث العربي،

بيروت، ٤ أجزاء.

■ ابن إسحاق: محمد المطلبي.

كتاب السيرة والمغازي.

تحقيق د/ سهيل زكار، ط. دار الفكر بيروت، سنة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م.

■ البخاري: الإمام محمد بن إسماعيل.

التاريخ الصغير.

تحقيق: محمود إبراهيم زائد، نشر: دار الوعي بحلب، ومكتبة دار التراث

بالقاهرة.

■ الجوهري: إسماعيل بن حماد.

الصاحح = تاج اللغة وصحاح العربية.

تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. طبع القاهرة، سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.

▪ خليفة: حاجي مصطفى بن عبد الله.

كشف الظنون، عن أسامي الكتب والفنون. نشر: محمد شرف الدين، ط: اسطنبول ١٩٤١ - ١٩٤٣ م، مجلدان.

▪ الخوارزمي: جمال الدين أبو بكر.

مفيد العلوم، ومبيد الهموم.

تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، طبع المكتبة القطرية، بيروت. د. ت.

▪ الذهبي: شمس الدين محمد.

- تذكرة الحفاظ.

طبع دار إحياء التراث. د. ت.

- معرفة القراء الكبار، على الطبقات والأعصار. تحقيق بشار عواد معروف ومن معه. طبع مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

▪ روزنثال: فرانز.

علم التاريخ عند المسلمين.

ترجمة: د. صالح أحمد العلي، مراجعة: محمد توفيق حسين. نشر: مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٣ م.

▪ الزمخشري: جار الله محمود بن عمر.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل. في وجوه التأويل.

طبع دار الكتاب العربي، بيروت.

▪ السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن.

- الإعلان بالتوبيخ، لمن ذم التاريخ. ط دمشق، ١٣٤٩ هـ.

- الضوء اللامع، لأهل القرن التاسع. نشر مكتبة حسام الدين المقدسي، ط. القاهرة ١٣٥٣ هـ، ١٢ جزءاً.

- المقاصد الحسنة، في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة.

تحقيق: عبد الله محمد الصديق، وعبد الوهاب عبد اللطيف، طبع: مكتبة الخاتجي بمصر.

▪ السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر.

بغية الوعاة، في طبقات اللغويين والنحاة.

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط القاهرة، ١٣٨٤ ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٤ - ١٩٦٥ م، جزءان.

▪ الصفدي: صلاح الدين.

الشعور بالعمور.

تحقيق: عبد الرزاق حسين، طبعة: عمان، دار العمار، سنة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م.

▪ العراقي: زين الدين عبد الرحيم.

كتاب طرح التثريب، في شرح التقریب.

طبع دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ بيروت.

▪ ابن العماد الحنبلي: عبد الحي بن علي.

شذرات الذهب، في أخبار من ذهب.

طبع: دار الفكر بيروت، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م..

▪ العيدروسي: عبد القادر بن شيخ بن عبد الله.

النور السافر، عن أخبار القرن العاشر.

تصحيح: محمد رشيد أفندي، طبع: بغداد، ١٩٣٤ م.

- الغزي: نجم الدين محمد بن محمد.
- الكواكب السائرة، بأعيان المائة العاشرة.
- تحقيق: جبرائيل سليمان جبور، نشر: محمد أمين دمج، بيروت، د. ت.
- ابن فهد: جار الله محمد بن عبد العزيز.
- نيل المنى، بذيل بلوغ القرى، لتكملة إتحاف الورى.
- تحقيق محمد الحبيب الهيلة، نشر مؤسسة الفرقان، سنة ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- ابن فهد: نجم الدين عمر بن محمد النقي.
- الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين.
- تحقيق الشيخ عبد الملك بن دهيش. طبع دار الخضر للطباعة والنشر، سنة ٢٠٠٠م، بيروت، لبنان.
- ابن فهد: عز الدين عبد العزيز بن عمر.
- بلوغ القرى، في نيل إتحاف الورى، بأخبار أم القرى.
- تحقيق: صلاح الدين بن خليل بن إبراهيم، عبد الرحمن بن حسين أبو الخيور، عليان بن عبد العالي المحلبدي، طبع: دار القاهرة، سنة ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ثلاثة أجزاء.
- القسطلاني: أحمد بن محمد.
- المواهب اللدنية، بالمنح المحمدية. تحقيق: صالح أحمد الشامي، نشر: المكتب الإسلامي.
- الكتاني: عبد الحي بن عبد الكبير.
- فهرس الفهارس والأثبات، ومعجم المعاجم والمشيكات والمسلسلات.
- طبع باعثناء وفهرسة: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ثلاثة أجزاء.

▪ كحالة: عمر رضا.

معجم المؤلفين. مطبعة: الترقى، دمشق، سنة ، ١٩٥٧م-١٩٦١م، ١٥ جزءاً.

▪ المالكي: أبو بكر الإفريقي.

رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وتونس.

تحقيق بشير البكوش ومحمد العروسي المطوي. نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٤٠٣ هـ. ثلاثة أجزاء.

▪ الماوردي: أبو الحسن علي البصري.

كتاب أدب الدنيا والدين.

تحقيق: محمد صباح، دار مكتبة الحياة، بيروت.

▪ المحاسبى: الحارث بن أسد.

الرعاية لحقوق الله.

تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط، نشر: دار الكتب الحديثة بالقاهرة، سنة، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، ١٥ جزءاً.

▪ مرداد: أبو الخير عبد الله بن أحمد المكي.

المختصر، من كتاب نشر النور والزهر، في تراجم أفاضل مكة. اختصار وترتيب:

محمد سعيد العامودي، وأحمد علي، طبع: عالم المعرفة، جدة، سنة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ١٥ جزءاً.

▪ الهيلة: محمد الحبيب.

التاريخ والمؤرخون بمكة في القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر.

طبع: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، موسوعة مكة المكرمة - لندن ١٩٩٤.

# المحتويات

موضوع	صفحة
تقديم .....	٣
ترجمة موجزة .....	٥
التعريف بكتاب النكت الظراف .....	١١
كلمة المحققة .....	٣٣
كتاب النُكْتِ الظَّرَافِ، في الموعظة بذوي العاهات من الأشراف .....	٤١
الخاتمة .....	١٠٧
ثبت المصادر والمراجع .....	١٠٩